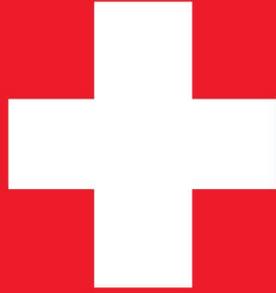


ڤيروس كورونا

— و —

المسيح



جون بايبر

ڤيروس كورونا

-9-

المسيح

جون باير

الصورة
elsoora.org

Originally published as *Coronavirus and Christ*.

Copyright ©2020 by Desiring God Foundation.

فيروس كورونا والمسيح

جون بايبر

خدمة «الصورة» ©2020

الكنيسة الإنجيلية بسيدني بشر قبلي، الإسكندرية — مصر

www.elsoora.org

ترجمة: أمير سامي

مراجعة: شيري عوض

المحرر العام: شريف عاطف فهيم

جميع حقوق الطبع في اللغة العربية محفوظة للناشر وحده، ولا يجوز استخدام أو اقتباس أو طبع أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل من الأشكال بدون إذن خطي مُسبق من الناشر، وللناشر وحده حق إعادة الطبع.

كل الاقتباسات من الكتاب المُقدس مأخوذة من ترجمة فاندايك - البُستاني، إلا إذا ذُكر غير ذلك.

خدمة الصورة

لمزيدٍ من المعلومات عن خدمة الصورة على مواقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، وتويتر وإنستجرام، وقناتنا على اليوتيوب، برجاء الضغط على الصور أدناه، أو زوروا موقعنا الإلكتروني elsoora.org



جدول المحتويات

١ مناسبة الكتابة: فيروس كورونا

الجزء الأول: الإله المتسلط على فيروس كورونا

- ٥ الفصل الأول: هيّا إلى الصخرة
١٣ الفصل الثاني: أساس متين
١٩ الفصل الثالث: هذه الصخرة بارّة
٢٥ الفصل الرابع: له سلطان على الكلّ
٣١ الفصل الخامس: حلاوة سلطانه

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

- ٣٩ أفكار تمهيدية: رؤية وتوجيه أنظار
٤٣ الفصل السادس: إظهار البشاعة الأدبية للخطية
٤٩ الفصل السابع: إيقاع دينونات إلهية خاصة
٥٣ الفصل الثامن: نداء صحو للاستعداد للمجيء الثاني
٥٧ الفصل التاسع: إعادة تناغمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح
٦٥ الفصل العاشر: إيجاد أعمال حسنة وسط الخطر
٧٣ الفصل الحادي عشر: خلخله جذورنا كي نذهب إلى الأمم
٧٧ صلاة ختامية
٨١ الملاحظات

مناسبة الكتابة: فيروس كورونا

ألّفْتُ هذا الكتاب الصغير في الأيام الأخيرة من شهر آذار/مارس من عام ٢٠٢٠م، في بدايات تفشّي الوباء العالميّ المعروف باسم فيروس كورونا، أو الشهرير باختصار «COVID-19» (مرض فيروس كورونا ٢٠١٩). يؤثّر هذا الفيروس في الرئتين، وفي أسوأ الحالات، يسبّب الوفاة بفعل الاختناق.

ورد تقريرٌ عن أوّل حالة وفاة بهذا الفيروس في الصين، في ١١ كانون الثاني/يناير ٢٠٢٠م. وبينما أكتبُ اليوم، هناك مئات الآلاف من حالات الإصابة حول العالم، وعشرات الآلاف من الوفيات. ولا يوجد علاج معروف له — حتّى الآن.

في الوقت الذي تقرأ فيه هذه الكلمات، ربّما صارت لديك معلوماتٌ أكثر منّي عن كيفية تطوّر الأحداث. لذلك، لا داعي للخوض في تفاصيل الإجراءات التي تتخذ لإبطاء انتشار الفيروس، أو الخسائر الاقتصادية التي أدّى إليها هذا. كما أنّ الاختلاط الاجتماعيّ والسفر، علاوةً على المؤتمرات، والتجمّعات الكنسيّة، والمسارح، والمطاعم، وكذلك الأحداث الرياضيّة، والشركات والأعمال — على وشك التوقّف التام.

لا يُعدُّ هذا أمرًا غير مسبوق — سواءً على الصعيد العالميّ أم في أمريكا. فبسبب وباء الإنفلونزا العالميّ^١ الذي انتشر في عام ١٩١٨م (بحسب تقديرات مراكز مكافحة الأمراض السارية)، تُوفّي خمسون مليون شخص حول العالم^٢، من بينهم أكثر من خمس مئة ألف شخص

من الولايات المتّحدة. كان الناس يشعرون بأعراض المرض في الصباح، ويموتون بحلول المساء. كانت الجثامين تؤخذ من الشرفات الأمامية للمنازل، وتُنقل إلى قبور حفرتها الجرافات. وقد أُطلق الرصاص ذات مرّة على أحد الأشخاص لعدم ارتدائه قناعًا واقياً. أُغِلت المدارس، وبدأ الخدّام ورعاة الكنائس يتحدّثون بشأن معركة هرمجدون.

قطعًا، لا تُثبت السوابق شيئًا. فالماضي هو أشبه بتحذير، وليس قَدْرًا محتومًا. ورغم ذلك، فإننا نشعر في هذا الوقت بهشاشة هيئة هذا العالم. فالأساسات التي كانت تبدو متينة أخذت بالاهتزاز. والسؤال الذي ينبغي أن نطرحه الآن هو: هل تقف أقدامنا على صخرة — صخرة لا يمكن أن تتزعزع بتاتًا؟

الجزء الأول:

الإله المتسلط

على

فيروس كورونا

الفصل الأوّل: هيا إلى الصخرة

ما دفعني إلى الكتابة هو لأقول إنّ الأرقام والاحتمالات والنسب المئويّة أساسٌ هشٌّ جدًّا لا يصلح أن نضع رجاءنا عليه. هناك احتمالات من قبيل ٣٪ في مقابل ١٠٪، أو الشباب في مقابل كبار السنّ، أو ضعف الصحّة في مقابل عدم وجود تاريخ مرضي، أو المناطق الريفية في مقابل المناطق الحضريّة، أو العزل الذاتي في مقابل الزيارات الاجتماعيّة للأصدقاء في المنزل. لا يمدّنا هذا التطلّع إلى النسب المئويّة والاحتمالات بالرجاء. وليس هذا موضعًا ثابتًا يمكننا الوقوف عليه.

هناك طريقٌ أفضل، وموضعٌ أفضل بإمكاننا الوقوف عليه: صخرة يقينٍ بدلَ رمال الاحتمالات.

عندما حلّ السرطان

أتذكّر أنّني تلقّيتُ في ٢١ كانون الأوّل/ديسمبر من عام ٢٠٠٥م خبرَ تشخيص إصابتي بسرطان البروستاتا. وطوال أسابيع عدّة تلت ذلك، كانت الأحاديث كلّها تدور حول الاحتمالات والنسب المئويّة، من قبيل احتمالات الانتظار دون فعل شيء، واحتمالات تناول أدوية، واحتمالات العلاج التجانسّي^٢ واحتمالات الجراحة الجذريّة. كنتُ وزوجتي، نويل، نأخذ هذه الأرقام على محمّل الجدّ. أمّا في المساء، فكنا نبتسم أحدنا للآخر ونفكّر هكذا: لا يكمن رجاؤنا في الأرقام والاحتمالات، بل رجاؤنا هو في الله.

لم نكنْ نقصد بهذا أنَّ من المؤكَّد بنسبة ١٠٠٪ أنَّ الله سيشفيني، في حين ليس في وَسع الأطباء سوى أن يقدِّموا لي بضعة أرقام واحتمالات، بل كانت الصخرة التي نتحدَّث بشأنها أفضل من ذلك؛ أجل، أفضل من الشفاء ذاته.

فحتَّى قبل أن أتلقَّى تلك المكالمة الهاتفية من الطبيب التي أخبرني فيها بأنني مريض بالسرطان، كان الله قد دكَّرني بطريقة واضحة ورائعة بالصخرة التي أفض عليها. فبعد انتهائي من فحصي السنوي المعتاد، نظرتُ إليَّ طبيب المسالك البولية وقال لي: «أودُّ أخذَ عيِّنة من الأنسجة للفحص».

قلتُ في نفسي: «حقًّا؟» وسألْتُ الطبيب: «متى؟»

أجابني: «الآن، إذا كان لديك الوقت».

«سأخصُّص الوقت لذلك».

وبينما كان الطبيب ذاهبًا ليحصُر الأدوات؛ وبينما كنتُ أغيرُ ثيابي لأرتدي رداء المستشفى الأزرق المعتاد وغير الجذاب، أتيح لي بعض الوقت للتفكير في ما يحدث. «يعتقد الطبيب إذاً أنني قد أكون مريضًا بالسرطان». وبينما بدأ مستقبلي في هذا العالم يتغيَّر أمام عيني، استحضر الله إلى ذهني شيئًا كنتُ قد قرأته في الآونة الأخيرة في الكتاب المقدَّس.

تكلِّم الله

فلنكنْ واضحين معًا. أنا لا أسمع أصواتًا، على الأقلُّ لم يحدث لي هذا من قبل. لكنْ تكلمُّ جذور ثقتي في أنَّ الله يتكلَّم في حقيقة أنَّ الكتاب المقدَّس هو كلمته (سنستفيض في ذلك في الفصل التالي). فقد تكلمَّ، مرَّةً وإلى الأبد، ولا يزال يتكلَّم بواسطة كلمته. فحين يُفهم الكتاب المقدَّس فهمًا صحيحًا، فهو صوت الله.

وإليكم ما تكلم به الله إليّ في عيادة طبيب المسالك البولّيّة، بينما كنتُ أتتظر أخذَ العيّنة لفحص الأنسجة، والتي كان من شأنها أن تؤكّد ما إذا كنت مريضًا بالسرطان أم لا: «يا جون بايبر، ليس هذا غضبًا؛ فسواء عشتَ أم متّ، سوف تكون معي». هذه إعادة صياغة منّي لكلام الله، لكنّ إليكم ما قاله بالفعل:

«لأنّ الله لم يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لاقْتِنَاءِ الْخَلَاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ
الْمَسِيحِ الَّذِي مَاتَ لِأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهَرْنَا أَوْ نَمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا
مَعَهُ» (اتسالونيكي ٩:٥-١٠).

فسواء كنتُ مستيقظًا أم نائمًا — أي سواء عشتُ أم متّ — سأكون حيًّا مع الله. كيف يمكن أن يكونَ هذا؟ أنا خاطئ، ولم يسبق لي أن عشتُ يومًا واحدًا من أيام حياتي — ولا يوم واحد — دون أن أوجَدَ دون مستوى مقاييس الله عن المحبّة والقداسة. كيف يمكن إذاً أن يكونَ هذا؟ كيف يقدرُ الله أن يقول لي: «يا جون بايبر، ستكون معي، سواء عشتَ أم متّ»؟

لم ينتظر الله أن أطرَحَ هذا السؤال، فقد أجاب على الفور: هذا بسبب يسوع، يسوع وحده. فبسبب موته، لن يقع عليّ غضبٌ. ليس هذا لأجل كمالي، بل لأنّ خطاياي وذنوبي وعقوبتي قد وُضعتُ على مخلصي، يسوع المسيح. فقد مات «عَنَّا». هذا ما تقوله كلمة الله. لذلك، أُعْتِقتُ من الذنب، ومن العقوبة، وصرْتُ آمنًا في نعمة هذا الإله الرحيم. هذا ما قاله الله: «سواء عشتَ أم متّ، ستكون معي». يختلف هذا تمامًا الاختلاف عن التعلُّق بأرقامٍ واحتمالاتٍ ونسبٍ مئويّة، سواء من جهة مرض السرطان، أم فيروس كورونا. هذه صخرةٌ راسخةٌ تحت قدمي؛ ليس هذا أساسًا هشًّا أو رماليًا. وأودُّ أن تقفَ قدماك أنت أيضًا على هذه الصخرة. ولهذا أَلَفْتُ هذا الكتاب.

هل الصخرة صلبة فقط من جهة الحياة الآتية؟

لكن، ليس هذا كل شيء. ربّما يقرأ أحدهم هذا ويقول: «إن أمثالكم من المتديّنين لا يجدون رجاءهم إلّا في الحياة الآتية. فإذا ضمنوا حياتهم ما بعد الموت، يكونون قد نالوا ما يريدون. لكنّ 'صوت الله' هذا الذي يتحدّثون بشأنه لا يقدّم تدخّلاً يُذكر في الحياة الحاضرة. أعتقد أنّ الله بدأ كل شيء في الخلق، وكتب نهايات سعيدة، لكنّ ماذا عمّا بينهما؟ أين هو الآن، في الوقت الحاضر، في أثناء تفشّي فيروس كورونا؟».

حسناً، أعتقد أنّني أضفي بالفعل قيمةً كبرى على الفرح في محضر الله بعد الموت، لمليارات لا تنتهي من السنوات، في مقابل آلام ومعاناة حاضرة لتقلّل إنّها لا تنتهي. يبدو هذا معقولاً ومقبولاً عندي. لكنّ الصخرة التي أقف عليها (تلك التي أودُّ أن يكون لك نصيبٌ معي فيها) توجّد في الحقيقة تحت قدمي الآن. نعم، الآن!

فإنّ وباء فيروس كورونا منتشرٌ حيث أعيش، بل حيث نعيش جميعاً. ولو لم يُصنّف فيروس كورونا، فقد يصيبني السرطان الذي يتحقّق الفرصة للظهور مجدّداً، أو الجلطة الرئويّة التي لا سبب لها، والتي لا تزال موجودةً منذ عام ٢٠١٤م، وتنتظر الفرصة للتحرك، والذهاب إلى الدماغ، محوّلة إياي إلى رجلٍ بلا عقل، لن يتمكّن من كتابة جملة واحدة أخرى لاحقاً، أو حتّى مئة بليّةٍ أخرى مفاجئة يمكن أن تقضي عليّ - أو عليك - في أيّة لحظة.

الصخرة التي أتحدّث بشأنها موجودةً تحت قدمي الآن. في وسعي أن أقول إنّ الصخرة موجودةً تحت قدمي الآن فقط؛ لأنّ الرجاء ما بعد الموت هو رجاءٌ حاضر. صحيحٌ أنّ موضوع الرجاء نفسه مستقبليٌّ، لكنّ اختبار الرجاء حاضرٌ. وهذا الاختبار الحاضرٌ قويٌّ.

إنّ الرجاء قوّةٌ حاضرة؛ فهو الذي يمنع الناس من قتل أنفسهم - الآن. وهو الذي يساعدهم على النهوض من الفراش والذهاب إلى

العمل — الآن. وهو ما يعطي معنى للحياة اليوميّة، حتّى لو كانت حياة حبيسة، أو في حَجَرٍ صَحْيٍ، أو فُرِضَ عليها أن تلتزم بالمنزل — الآن. وهو يحرّرُ من أنانيّة الخوف والجشع — الآن. وهو يؤيّد المحبّة والمجازفة والتضحية بالقوّة — الآن.

لذا، توحّ الحذرَ قبل أن تقلّل من شأن الحياة الآتية. فرمّا يكون حاضرِك حلوًا ومثمرًا حين تكون حياتك الآتية جميلةً ومضمونة.

يُده عاملةٌ في الفيروسات

هذا هو ما في وسعي أن أقوله دفاعًا عن كلمة الله الرائعة التي كلّمني بها في عيادة طبيب المسالك البوليّة: «إن عشت أو متّ، ستكون معي». ويجعلني مثل هذا الرجاء (بسبب موت المسيح وقيامته) أرغب في سَكْبِ حياتي من أجل خير الآخرين الآن، ولا سيّما من أجل خيرهم الأبديّ، كما يحفّزني ألا أضيع حياتي، ويزيل التردّد، ويملأني بالغيرة والحماسة كي أذيع عظمة يسوع المسيح، ويجعلني أرغب في أن أنفق وأنفق (٢ كورنثوس ١٥: ١٢) كي آتيّ بأكبر عدد ممكن من البشر معي إلى الفرع الأبديّ.

لكن، مع أنّ هذا هو ما في وسعي قوله، أمام اعتراض أحدهم قائلاً إنّ إله بايبر متخصّص فقط في الحياة الآتية، وليس في الحياة الحاضرة، فهو ليس الشيء الوحيد الذي يَلْزَمُ قوله.

في حقيقة الأمر، ما أنا على وشك قوله على الأرجح سيجعل أحدهم يعترض، قائلاً: «يا للعجب! هذا تداخلٌ زائدٌ عن الحدِّ لله في الحاضر. فقد انتقلت الآن من الحديث بشأن إله يُصلِحُ المستقبل فحسب، إلى إله يده عاملةٌ في مسألة الفيروسات».

ليس «أنا بخير» بل «أشعر بأنني بخير»

فلنصخ الأمر هكذا. عادةً ما كان الناس يسألونني قبل إصابتي بمرض السرطان: «كيف هي حالتك الصحيّة؟» وكنْتُ أجيّب: «أنا بخير». لم أعدُ أجيّب بهذا اليوم، بل أقول الآن: «أشعر بأنني بخير». وهناك فرقٌ ما بين الجوابين. ففي اليوم الذي سبق ذهابي إلى ذلك الفحص السنويّ للبروستاتا، كنت أشعر بأنني بخير، لكن في اليوم التالي، قيل لي إنني مريضٌ بالسرطان. بعبارة أخرى، لم أكنُ بخير. بل بينما أكتب هذه الكلمات، لا أعرف إذا كنتُ بخير أم لا. أشعر بأنني بحال جيّدة، أفضل كثيراً ممّا أستحقّ. ربّما أنا مريض الآن بالسرطان، أو بجلطة دمويّة، أو ربّما بفيروس كورونا.

ماذا أحاول أن أقول هنا؟ أحاول أن أقول إنّ السببَ الأساسيّ الذي يدعونا إلى عدم قول: «أنا بخير» هو أنّ الله وحده يَعْلَمُ ويقرّر إذا كنتُ بخير أم لا — الآن. فأن تقول: «أنا بخير» بينما أنت لا تعلم إذا كنت بخير أم لا؛ وبينما لا يمكنك التحكّم في ما إذا كنت بخير أم لا، هو كأنك تقول: «غدًا، سأذهب إلى شيكاغو وأبدأ مشروعًا»، في حين أنت لا تدري حتّى إذا كنت ستظُل على قيد الحياة حتّى الغد أم لا، ناهيك عن تأسيس مشروع في شيكاغو.

إليك ما يقوله الكتاب المقدّس عن هذا:

«هَلُمَّ الآنَ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ: نَذْهَبُ الْيَوْمَ أَوْ غَدًا إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ أَوْ تِلْكَ، وَهَنَّاكَ نَصْرَفُ سَنَةً وَاحِدَةً وَنَتَّجِرُ وَنَرْبَحُ. أَنْتُمْ الَّذِينَ لَا تَعْرِفُونَ أَمْرَ الْغَدِ! لِأَنَّهُ مَا هِيَ حَيَاتُكُمْ؟ إِنَّهَا بَخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْمَحِلُّ. عِوَضَ أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ شَاءَ الرَّبِّ وَعِشْنَا نَفْعَلْ هَذَا أَوْ ذَاكَ» (يعقوب ٤: ١٣-١٥).

ها قد تبخّرتِ الآن فكرةُ الإله المتداخل فقط في الحياة الآتية. هذا هو تأثير سطوع شمس الحقِّ الكتابيِّ على الضباب سريع الزوال لأرائنا الشخصية.

إذا قرّر الربّ، سنفعل هذا أو ذاك

إنَّ الصخرة التي أقف عليها (والتي أريدك أن تقف عليها أنت أيضًا) هي صخرة عمل الله في العالم الآن، وإلى الأبد. يقول الكتاب المقدّس: «إنَّ شاءَ الربُّ وَعِشْنَا». يعني ذلك تداخلًا في حينِ الحاضر إلى أقصى حدّ. لا يتوقّف الأمر عند: «سواء عشتَ أو متَّ، ستكون مع الله»؛ لكنّه يمتدُّ أيضًا إلى: «الله هو مَنْ سيقرّر إذا كنت ستعيش أو ستموت — الآن».

لا يقتصر الأمر على الحياة أو الموت، لكنَّ الله أكثر تداخلًا أيضًا من ذلك. «إنَّ شاءَ الربُّ ... نَفَعَلْ هَذَا أَوْ ذَلِكَ». لا شيء مستثنى من «هذا أو ذاك». فإنَّ الله متداخل تمامًا في هذه الصّحة، أو ذاك المرض؛ في هذا الانهيار الاقتصادي، أو ذاك التعافي؛ في هذا النّفس، أو انقطاعه.

يعني ذلك أنّني بينما كنتُ أنتظر في عيادة الطبيب حتّى تصل آلة أخذ عيّنة الأنسجة، كان الله يملك القدرة أن يقول لي (وهذا ما فعله لاحقًا): «لا تخفّ». سواء عشتَ أم متَّ، ستكون معي. وأيضًا في الوقت الحالي، بينما أنت حيٌّ، لن يحدث لك شيء — أيُّ شيء — لم أعينّه! إذا قرّرتُ أن تعيش، فسوف تعيش. وإذا قرّرتُ أن تموت، فسوف تموت. وإلى أن تموتَ بقرارٍ منِّي، أنا مَنْ سيقرّر إذا كنتَ ستفعل هذا أم ذاك. هيّا ابدأ العمل».

هذه هي صخري — اليوم وغدًا وإلى الأبد.

هيّا إلى الصخرة

هذا الكتاب هو دعوةٌ مقدّمةٌ منِّي كي تنضم إليّ للوقوف على تلك الصخرة المتينة، يسوع المسيح. وأرجو أن يتّضح لك في ما يلي معنى

الجزء الأوّل: الإله المُتسلِّط على فيروس كورونا

ذلك. إنّ هدي هو أن أبين لماذا يُعدُّ الله، في المسيح، الصخرة في هذه اللحظة من التاريخ – في وسط وباء فيروس كورونا – وكيف يكون وقوفنا وثباتنا في محبّته القديرة.

الفصل الثاني: أساس متين

لا يَهُمُّ كثيراً رأيي بشأن فيروس كورونا، أو بشأن أي شيء آخر، لكن رأي الله هو الأهمُّ بما لا يُقاس. وهو لا يكتُمُ عنَّا رأيَه بشأن هذا الأمر. فمن النادر أن نجدَ صفحةً في الكتاب المقدَّس لا علاقة لها بهذه الأزمة.

متينٌ وحلو

إِنَّ رَأْيِي عَشْبٌ، أَمَّا رَأْيُ اللَّهِ فَهُوَ صَوَّانٌ، «الْعُشْبُ يَبِسَ وَزَهْرُهُ سَقَطَ، وَأَمَّا كَلِمَةُ الرَّبِّ فَتَثْبُتُ إِلَى الْأَبَدِ» (١ بطرس ١: ٢٤-٢٥). قال يسوع إنَّ كلام الله في الكتاب المقدَّس: «لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْقَضَ» (يوحنا ١٠: ٣٥). فما يقوله الله «حَقٌّ عَادِلٌ كُلُّهُ» (مزمور ٩: ١٩)، ومن ثَمَّ، فإنَّ كلمته أساسٌ ثابتٌ إلى مدى الحياة — «إِلَى الدَّهْرِ أَسَّسَتْهَا [شهادتك]» (مزمور ١١٩: ١٥٢). يشبه الإصغاء إلى الله والإيمان به بناءً بيتٍ على الصخر، لا على الرمل (متى ٧: ٢٤).

فإنَّ كلمة الله هي ذلك الرأي الذي ينبغي أن توليه كلَّ انتباهك؛ فهو «عَجِيبُ الرَّأْيِ عَظِيمُ الْفَهْمِ» (إشعيا ٢٨: ٢٩)، و«لِفَهْمِهِ لَا إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥). وحين يعطي رأياً بشأن فيروس كورونا، سيكون رأياً راسخاً ودائماً وغير متزعزع «أَمَّا مُؤَامَرَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الْأَبَدِ تَثْبُتُ» (مزمور ٣٣: ١١)، «اللَّهُ طَرِيقُهُ كَامِلٌ» (٢ صموئيل ٢٢: ٣١).

ومن ثَمَّ، فإنَّ كلمات الله حلوةٌ وثمينة، «أَشْهَى مِنَ الدَّهَبِ ... وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَقَطْرُ الشُّهَادِ» (مزمور ١٠٩: ١٠). وهي في الحقيقة

تحملُ حلاوةَ الحياة الأبدية: «يا ربُّ إلى مَنْ نَذَهَبُ؟ كَلامُ الحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ عِنْدَكَ» (يوحنا ٦: ٦٨).

ومن ثَمَّ، ففي أفضل الأوقات وأسوئها، تجلب كلمات الله سلامًا وفرحًا لا يتزعزعان. حتمًا لا بُدَّ أن يكون الأمر كذلك. صلاتي هي أن يختبر كلُّ مَنْ يقرأ هذا الكتاب ما اختبره إرميا النبي: «وَجِدَ كَلامَكَ فَأَكَلْتُهُ فَكَانَ كَلامَكَ لِي لِلْفَرَحِ وَلِبَهْجَةِ قَلْبِي» (إرميا ١٥: ١٦).

لاحظ ذلك: لن تُفقد حلاوة كلمة الله في تلك اللحظة الحاسمة من التاريخ، التي نختبر فيها عنايةً إلهيةً مُرَّةً، إن تعلّمنا سرَّ أن نكون «كَحَزَائِي وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢ كورنثوس ٦: ١٠). سنرى لاحقًا وبالتفصيل ماهية هذا السرِّ، لكن إليكم تعريفه الآن في جملة واحدة: أن سرَّ «كَحَزَائِي وَنَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» هو معرفة أن السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنع فيروس كورونا، لكنها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة. بل يفوق الأمر مجرد مساندة ودعم؛ إذ تزيّن هذه السيادة النفس وتحليها بالرجاء في أن مقاصد الله طيبة وكريمة، حتّى في الموت ذاته — لأولئك الذين يضعون ثقتهم فيه.

كيف تعرف ذلك يقينًا؟

ومن ثَمَّ، فإنَّ السؤال الأكثر إلحاحًا الآن هو: كيف تعرف يقينًا أن الكتاب المقدس هو كلمة الله؟ إجابتي المختصرة هي أن مجداً إلهياً يشعُّ من هذه الكلمة، ويلائم تمامًا أبعاد قالبٍ على شكل الله، موجودٍ داخل قلبك، تمامًا مثل التروس والعجلات، واليد والقفاز، والسمك والمياه، والأجنحة والهواء، والقطعة الأخيرة من لعبة التركيب (البازل). يمكنني أن أتخيّل الآن أحدهم يردُّ على إجابتي قائلاً: «تبدو هذه الإجابة نوعًا ما وجدانيةً وغير موضوعية. لماذا أجبته هكذا؟».

لأنَّه منذ خمسين عامًا؛ عندما كنتُ أصارعُ كي أعرفَ الأساسَ الذي ينبغي أن أُنبيَ عليه حياتي، أدركتُ أنَّ الحُججَ الأكاديميَّةَ والتاريخيَّةَ لإثباتِ صحَّةِ الكتابِ المقدَّسِ لن تُجدي نفعًا مع غالبيةِ العالم. لماذا؟ لأنَّه، مع أنَّها صحيحةٌ ونافعةٌ بدرجةٍ ما، فلا يستطيعُ أن يستوعبها طفلٌ في سنِّ الثامنة، أو رجلٌ قرويٌّ غير متعلِّمٍ تلتقيه في بقعةٍ نائيةٍ من أدغال جنوب المحيط الهادئ، أو شخصٌ عاديٌّ في الغرب لم ينلِ سوى قسطٍ قليلٍ من التعليم. ورغم ذلك، فقد بدا لي واضحًا أنَّ الله أرادَ لهؤلاءِ الناس أن يسمِعوا كلمةَ الله ويؤمنوا بها، دون أن يقفروا في الظلام.

الإيمانُ الكتابيُّ ليس قفزةً في الظلام

ليس التعريفُ الكتابيُّ للإيمان أنَّه قفزةٌ في الظلام، بل إنَّ هذا الإيمانُ معلَّلٌ ومبنيٌّ على الإثباتات والأدلة. فقد سُمِّيَ إيمانًا لا لأنَّه بلا أساس، بل لأنَّه يتضمَّنُ عنصرًا من الثقة. لم يَصِفِ يسوعُ المُؤمنين، بل غير المُؤمنين، بأنَّهم عميان (انظر متى ١٥: ١٤)؛ كونهم «مُبْصِرِينَ لا يُبْصِرُونَ» (متى ١٣: ١٣). يُبنى الإيمانُ الخلاصيُّ إدًا في كلمةَ الله على «الإبصار»، أي الرؤية الحقيقيَّة.

لكنَّ ما الشيء الذي يبصره هذا الإيمانُ؟ هكذا يجب الكتاب المقدَّس: يفعل الشيطان كلَّ ما في وسعه كي يُعمي «أذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلَّا تُبْصِرَ لَهُمْ إِنْارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ» (٢كورنثوس ٤: ٤).

بمعنى آخر، يشعُّ نورٌ روحيٌّ من نوعٍ ما بواسطة الإنجيل، الذي هو القصةُ الكتابيَّةُ للخلاص. وأيُّ نوع من النور هذا؟ هو نور «مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ». ليس هذا سحرًا، أو شيئًا روحانيًا وجدائيًا، يظهر لكنَّه غير موجود في الحقيقة، بل إنَّ يسوع المسيح هو ذلك الإله — الإنسان الذي يشعُّ مجده الأديُّ والروحيُّ والفائق

للطبيعة — أي جماله وقيمته وعظمته — بواسطة كلمة الله. هذا ما يؤكِّد صحَّة الكتاب المقدَّس ويُثبِّتها.

قالبٌ على شكل الله داخل روحك

لهذا قلْتُ إِنَّ مَجْدًا إلهيًّا يشعُّ من الكتاب المقدَّس، ويلاتم تمامًا قالبًا على شكل الله موجودًا داخل قلبك. ومن ثمَّ، هذا ما يؤكِّد صدق الكتاب المقدس وقيمته ويُثبِّتُهما.

أجل، أو من بوجود قالب على شكل الله — أي نوعٍ من المعرفة غير المباشرة بالله — داخل كلِّ روح بشريَّة. ويعبِّر الكتاب المقدَّس عن هذا بقوله عن جميع البشر: «مَعْرِفَةُ اللَّهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ ... لِأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللَّهَ لَمْ يَمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كِإِلَهِ» (رومية ١: ١٩، ٢١).

يعلِّمنا الكتاب المقدَّس بأنَّ هذه المعرفة الموجودة داخل كلِّ روح هي التي تجعلنا مسؤولين جميعًا عن رؤية مجد الله في الطبيعة. كذلك أيضًا، نحن مسؤولون عن رؤية مجد الله في يسوع بواسطة كلمته. فالسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ مَجْدَ اللَّهِ (انظر مزمو ١٩: ١)، ونحن ملزَمون أن نرى هذا المجد، وأن نرفع شكرنا. كذلك أيضًا، يُعلن ابن الله مجد الله، ونحن مسؤولون عن رؤية هذا المجد، وتقديم العبادة. يقول الرسول يوحنا: «وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْدًا كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤).

هذا هو المجد الذي يُثبِّت نفسه، والذي يشعُّ من كلمة الله، ويمدُّنا بأساسٍ معلَّلٍ ومبنيٍّ على إثباتاتٍ وأدلةٍ للإيمان بأنَّ الكتاب المقدَّس هو من عند الله.

التكنولوجيا في مقابل التذوق

تُشبهُ وسيلةُ معرفتنا مجدَ الله في الكتاب المقدَّس وسيلةَ معرفتنا أنَّ العسلَ هو عسل. ربَّما يقول العلم والتكنولوجيا إنَّ إناءً ما يحتوي

على عسلٍ بسبب بعض التجارب الكيماوية التي أجريت عليه، تمامًا كما يستطيع دارسو الكتاب المقدس أن يقدموا حُججًا مقنعةً تؤيد الموثوقية التاريخية للكتاب المقدس. لكن ليس معظم الناس علماء أو دارسين أكاديميين؛ فإننا نعلم أن العسلَ عسلٌ لأننا نتذوقه.

كذلك أيضًا، تكمن حلاوة إلهية في مجد الله الظاهر في رسالة الكتاب المقدس. وهي تمس جانبًا منّا نعلم جيدًا أن الله هو من وضعه فينا «مَا أَحَلَى قَوْلَكَ لِحَنِّكَ! أَحَلَى مِنْ الْعَسَلِ لِفَمِي» (مزمور ١١٩: ١٠٣)؛ «ذُوقُوا وَانظُرُوا مَا أَطْيَبَ الرَّبُّ!» (مزمور ٨٠: ٣٤). هذا إبصارٌ وتذوقٌ حقيقيان؛ فهو ليس إيمانًا تخيليًا، بل إيمانٌ يبصرُ ويدوقُ ما هو موجودٌ في الحقيقة.

نعم أمين لصخرة عزائنا

لذا، عندما يقول يسوع: «لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْقُضَ الْمَكْتُوبُ» (يوحنا ١٠: ٣٥)؛ وعندما يقول الرسول بولس: «كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحى بِهِ مِنَ اللَّهِ» (٢ تيموثاوس ٣: ١٦)، وعندما يقول الرسول بطرس إن كتبة الأسفار المقدسة كانوا «مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢ بطرس ١: ٢١)، تقول قلوبنا: نعم أمين. فقد ذُقنا وأبصرنا، وصرنا نعرفُ يقينًا. وتقفُ هذه المعرفة على أساسٍ سليمٍ ومتين. لذلك نحن لا نقفزُ في الظلام.

ويتلامسُ كيأننا كلُّه مع كلمات الكتاب المقدس القائلة: «رَأْسُ كَلِمَتِكَ حَقٌّ» (مزمور ١١٩: ١٦٠)؛ «إِلَى الْأَبَدِ يَا رَبُّ كَلِمَتُكَ مُتَّبَعَةٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (مزمور ١١٩: ٨٩)؛ «كُلُّ كَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ نَقِيَّةٌ» (أمثال ٣٠: ٥).

وعندما يحدث ذلك، يفيض علينا حقُّ الله كاملاً، ويؤثرُ في أعماقنا، حتَّى أمام فيروس كورونا. وهو يفيض علينا بعزاء لا مثيل له: «عِنْدَ كَثْرَةِ هُمُومِي فِي دَاخِلِي تَعَزَّيْتُكَ تَلَذُّذُ نَفْسِي» (مزمور ١٩: ٩٤)؛ «قَرِيبٌ هُوَ الرَّبُّ مِنَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ وَيُخَلِّصُ الْمُنْسَحِقِي الرُّوحِ. كَثِيرَةٌ هِيَ بَلَايَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيه الرَّبُّ» (مزمور ١٨: ٣٤-١٩).

الجزء الأول: الإله المُتسلِّط على فيروس كورونا

لا يقدر إنسان أن يعزِّي أرواحنا في وسط هذا الوباء كما يقدرُ الله.
فإنَّ تعزياته لا تتزعزع، مثل صخرةٍ عظيمةٍ ومرتفعةٍ وسط بحرٍ هائج.
وهذه التعزيات آتية من كلمته — من الكتاب المقدَّس.

الفصل الثالث: هذه الصخرة بارّة

إذا كان الله هو صخرتنا، فلا بُدَّ إذاً أنّه بارٌّ. فإنَّ صخرةً غير بارّة هي مجردُ سراب. وإنَّ الشيء الذي قد يُزعزعه فينا وباءٌ عالميٌّ هو ثقتنا في برِّ الله، وقداسته، وصلاحه. لكن، لو لم يكن الله بارّاً وسط كلِّ ذلك، لن تكون لنا صخرة نقف عليها.

لذا يلزمُ أن نسأل: ما معنى قداسة الله وبرّه وصلاحه؟ فإن لم نعرف معنى هذه الصفات، فكيف سيتسنّى لنا أن نعرفَ إذا كان تفشّي فيروس كورونا قد فتّتها وحطّمها أم لا؟ أو، في المقابل، كيف سيتسنّى لنا أن نعرفَ أنّها هي الأساسات السرمديّة للصخرة التي تنقذنا وتخلّصنا؟ سنرى الآن أنّ الكتاب المقدّس لا يصف قداسة الله وبرّه وصلاحه حاسباً إيّاها صفاتٍ متطابقة، بل بوصفها صفاتٍ متشابكةً ومتداخلةً معاً. لنبدأ الآن بقداسة الله. ما المقصود بقداسة الله؟

القيمة المتسامية وغير المحدودة

يحمل جذر الكلمة التي استخدمها العهد القديم بمعنى «قداسة» معنى الانفصال، أيّ اختلاف شيء ما وانفصاله عن كلّ ما هو عاديّ. وعند تطبيق هذا المعنى على الله، سيدلُّ الانفصال على أنّ الله يصنّف في فئةٍ بمفرده، أو في فئةٍ فريدةٍ من نوعها. فهو نظيرُ ألماسةٍ فريدةٍ من نوعها، فائقة القيمة. نستطيع أن نستخدم كلمة متسامٍ أو متعالٍ (Transcendent) لوصف هذا النوع من الانفصال الإلهي؛ فهو منفصلٌ

في تفرُّدٍ حتَّى إنَّه يتسامى فوق أيِّ شيءٍ آخر، وهو فوق الكلِّ، وأعلى قيمة من الكلِّ.

عندما ضرب موسى الصخرة بدل أن يكلمها كما أوصاه الله، وبَّخه الله قائلاً: «لَمْ تُؤْمِنَا بِي حَتَّى تُقَدِّسَانِي أَمَامَ أَعْيُنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ» (العدد ١٢:٢٠). بمعنى آخر، لم يتعامل موسى مع الله على أنه شخصٌ استثنائيٌّ، وجديرٌ بالثقة على نحوٍ فائق، بل فقط على أنه مجردُ سلطةٍ بشريَّةٍ أخرى مثل أيَّة سلطةٍ أخرى، يمكن تجاهلها.

وفي إشعياء ١٢:٨-١٣، قال الله لإشعياء: «لَا تَخَافُوا خَوْفَهُ [خوف هذا الشعب] وَلَا تَرْهَبُوا. قَدِّسُوا رَبَّ الْجُنُودِ فَهُوَ خَوْفُكُمْ وَهُوَ رَهْبَتُكُمْ». بمعنى آخر، لا تضيفوا الله إلى مجموعة مخاوفكم العاديَّة، أو الأمور التي ترهبونها، بل تعاملوا معه على أنه نوعٌ منفصلٌ ومتفردٌ تمامًا — أي نوع متسامٍ- من الخوف والرهبنة.

ومن ثمَّ، فإنَّ قداسةَ الله هي تساميه غير المحدود، وقيمه غير المحدودة، التي تفوق كلَّ شيءٍ آخر. فهو يصنَّف في فئةٍ مفردة، ما يعني أنه لا يعتمد في وجوده على أيِّ شيءٍ آخر؛ لأنَّه ذاتيُّ الوجود. لذا، فهو لا يحتاج إلى شيء، ولا يعتمد على شيء. هو كامل، ولا ينقصه شيء. ومن ثمَّ، هو يمتلك القيمة الأعظم بصفته مصدرَ كلِّ حقيقةٍ وكلِّ قيمةٍ.

فوق الكلِّ، لكنَّه ليس منعزلاً

لا يعني تعالي الله فوق كلِّ شيءٍ آخر أنه عقلٌ منعزلٌ تمامًا، وخالٍ من المحبَّة. فإنَّ عقيدة الثالوث المهمَّة تُعدُّ عقيدةً كتابيَّةً تمامًا. فالله موجودٌ في ثلاثة أقانيمٍ إلهيَّة، وهؤلاء الثلاثة هم واحد، أي جوهرٌ إلهيٌّ واحد. هناك إلهٌ واحد، لا ثلاثة آلهة، إلَّا أنَّ هذا الإله الواحد موجودٌ في وحدةٍ سرِّيَّةٍ وحقيقيَّةٍ ما بين الآب والابن والروح القدس — كلُّ منهم أبديٌّ وأزليٌّ (لا بداية له). وكلُّ منهم هو الله الحقيقيُّ.

لهذا فالقداسة — أي قيمة الله وعظمته المتساميتان — لا تعني أنّه منعزلٌ بلا محبةٍ في سموّه غير المحدود؛ فالله الآب يعرف الابن ويحبّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (مرقس ١: ١١؛ ٩: ٧؛ كولوسي ١: ١٣)، والله الابن يعرف الآب ويحبّه على نحوٍ كاملٍ وغير محدود (يوحنا ١٤: ٣١)، والروح القدس هو التعبير الكامل وغير المحدود عن معرفة الآب والابن ومحبتّهما بعضهما لبعض.

وما أهميّةٌ هذا؟ لأنّ هذه الشركة الثالوثيّة الكاملة أساسيّةٌ لأجل كمال الله وتكامله؛ فهي أساسيّةٌ لأجل قيمته وجماله وعظمته المتسامية، أي أنّها أساسيّةٌ في قداسته.

القداسةُ متشابكةٌ ومتداخلةٌ مع البرِّ

هناك بُعدٌ مفقودٌ في ذلك الوصف لقداسة الله. يتكلم الكتاب المقدّس عن قداسة الله ليس فقط من حيثُ تساميتها، بل أيضًا من حيثُ البعدُ الأدبيُّ لها. أن يكون الله قدوسًا يعني ليس فقط أنّه منفصلٌ ومتسامٍ، بل أيضًا أنّه بارٌّ.

يفرضُ هذا سؤالًا ستكونُ له آثارٌ عظيمةٌ في نظرتنا إلى فيروس كورونا وعلاقته بالله: ما دام البرُّ يتضمّن فعلَ الصواب؛ وما دام فعلُ الصواب يتضمّن الامتثالَ لمقياسٍ معيّنٍ للاستقامة والصواب، فما المقياس الذي يخضع له برُّ الله؟

قبل الخلق، لم تكن هناك مقاييس خارج الله. لم يكن هناك شيءٌ خارج الله يمكن أن يخضع الله أو يمتثلَ له. فقبل الخلق، كان الله هو الحقيقة الوحيدة. عندما لا يوجد إدًا سوى الله وحده، فكيف يمكن أن تحدّد الصواب الذي ينبغي أن يفعله الله؟ أي كيف يمكن أن تشملُ قداسةُ الله تساميه وبرّه أيضًا؟

الإجابة هي أن مقياس بر الله هو الله ذاته. والمبدأ الكتابي الأساسي هو أن الله: «لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ» (٢ تيموثاوس ٢: ١٣). أي لن يقدر الله أن يتصرف بطريقة تُنكر قيمته وجماله وعظمته غير المحدودة. هذا هو مقياس الصواب عند الله.

يعني هذا أن البُعد الأديني من قداسة الله — الذي هو برُّه — هو التزامه الذي لا يلين أن يتصرف بما يتفق مع قيمته وجماله وعظمته. فإن كل عاطفة وفكرة وكلمة وتصرف يصدر عن الله، سيكون دائماً متفقاً مع القيمة والجمال غير المحدودين لجماله المتسامي. فلو حدث أن أنكر الله هذه القيمة، أو هذا الجمال، أو هذه العظمة، لما كان هذا صواباً. حينئذ، سيفسد المقياس الأساسي، ولن يكون باراً.

البرُّ متشابكٌ ومتداخلٌ مع الصلاح

ليس صلاح الله متطابقاً مع قداسته، أو مع برُّه، لكنّه متشابكٌ ومتداخلٌ معهما؛ لأنَّ قداسته تفيضُ بصلاح، وبرُّه هو الذي يوجِّه منحه لهذا الصلاح. لا تتعارض هذه الصفات بتاتاً بعضها مع بعض.

فإنَّ صلاح الله هو مِيلُهُ لأن يكونَ سخيًّا، أي أن يفعلَ ما من شأنه أن يبارك البشر. ويُشبهه كمال الله المتسامي، أي قداسته، نبغاً فائضاً؛ لذلك هو يميل لأن يكونَ سخيًّا؛ فهو لا يحتاج إلى أحد، ومن ثمَّ، لا يستغلُّ بتاتاً الآخرين كي يعوِّض نقصاً فيه. بل في المقابل، تميل طبيعة الله إلى العطاء، لا إلى الأخذ «وَلَا يُخَدَّمُ بِأَيْدِي النَّاسِ كَأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى شَيْءٍ إِذْ هُوَ يُعْطِي الْجَمِيعَ حَيَاةً وَنَفْسًا وَكُلَّ شَيْءٍ» (أعمال الرسل ١٧: ٢٥).

لكنَّ صلاح الله غير منفصل عن برُّه؛ فلا يمنح الله صلاحه على نحو من شأنه أن ينكر قيمته وجماله وعظمته غير المحدودة. ولذلك، يتضمَّن برُّ الله العقاب الأخير، كما يتضمَّن الصلاح أيضاً. فعندما يعاقب الله غير التائبين في الجحيم، فهو لا يمنحهم صلاحه، لكنّه لم

يتوقَّف بهذا عن أن يكونَ صالحًا؛ فقداسته وبرُّه هما اللذان يوجَّهان
كيفةً منحه لصلاحه.

لأجل ذلك، يفيض صلاح الله بصفةٍ خاصَّةٍ على خائفيه والذين
يَحْتَمون به «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي دَخَرْتَهُ لِحَائِفِيكَ وَفَعَلْتَهُ لِلْمُنْتَكِلِينَ
عَلَيْكَ» (مزمو ٣١: ١٩).

غير أنَّ هذا الإيمانَ وهذه المهابة لا يربحان صلاح الله؛ فالخطاة
المحدودون والاعتماديون تمامًا، لا يقدرّون أن يربحوا عن استحقاق
أَيِّ شيءٍ من الله. بل إنَّ صلاح الله من نحو الخطاة دائماً مجانيٌّ ودون
استحقاق. لماذا يميلُ الله إِدًّا إلى إظهار جوده الوافر نحو مَنْ يخافونه
ويَتكلون عليه؟ لأنَّ الإيمانَ والمهابة يُعلنان قيمةَ الله وجماله وعظمتَه
(رومية ٤: ٢٠). ومن ثَمَّ، فإنَّ برَّ الله يجعله يميلُ إلى التصديق على مثل
هذه التوجُّهات التي تكرمه.

ماذا إذا عن فيروس كورونا؟

سنحدِّث في الفصل التالي بشأن سيادة الله كَلِيَّة العلم، وكَلِيَّة التحكُّم
فوق كلِّ شيء. لكن، سيمنعنا ما تحدَّثنا به حتَّى الآن من القفز إلى
استنتاج أنَّ يدَ الله المتداخلة والعاملة في فيروس كورونا تشكُّك في
قداسته أو برِّه أو صلاحه. لن نكون بالسذاجة التي تجعلنا نربطُ الأملَ
البشريَّ بافتقار الله إلى البرِّ، أو نستنتجُ أنَّ الله توقَّف عن أن يكون قدوسًا
أو صالحًا في إدارته لعالمه.

جميعنا خطاة، وليس هناك استثناءات. فقد استبدلنا جميعًا
بمجد قيمة الله وجماله وعظمتَه أشياءً نستمتعُ بها أكثر (رومية ١: ٢٣؛
٢٣: ٣)، وهذه إهانة شائنةٌ لله، سواء شعرنا بذلك أم لا. ومن ثَمَّ، فإنَّنا
نستحقُّ العقاب. وتجعلنا إهانتنا هذه لمجد الله نستحقُّ عن جدارةٍ
غضبه المقدَّس. يقول الكتاب المقدَّس إنَّنا بالطبيعةِ أبناءُ الغضبِ

(انظر أفسس ٣:٢)، ما يعني أنَّ الله سيكون قُدُوسًا وبارًّا إذا ما حجب صلاحه عنَّا.

ومن ثَمَّ، لا يدُلُّ فيروس كورونا على أيِّ غيابِ القداسة أو البرِّ أو الصلاح عن الله. صخرتنا، في هذه الأيام العصيبة والمضطربة، ليست دون برٍّ أو قداسة. فإنَّه «لَيْسَ قُدُوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ ... وَلَيْسَ صَخْرَةٌ مِثْلَ إِلَهِنَا» (١ صموئيل ٢:٢). ليست صخرتنا وهمًّا أو سرابًا.

الفصل الرابع: له سلطانٌ على الكلِّ

استخدمتُ في الفصل الثاني عبارة «عنايةٌ إلهيةٌ مُرَّة». هذا هو فيروس كورونا. لا يُعدُّ وصفنا لبعض أعمال الله بأنَّها مُرَّةً تجديدًا؛ فقد قالت نعمي، حماة راعوث، التي فقدت زوجها وابنتها وإحدى كَنَنِيها في أثناء المجاعة والاعتراب الكلمات الآتية:

«لَأَنَّ الْقَدِيرَ قَدْ أَمَرَنِي جِدًّا. إِنِّي ذَهَبْتُ مُمْتَلِئَةً وَأَرْجَعَنِي
الرَّبُّ فَارِغَةً ... وَالرَّبُّ قَدْ أَذَلَّنِي وَالْقَدِيرُ قَدْ كَسَرَنِي؟
(راعوث ٢٠:١-٢١).

لم تكن نعمي تكذب، أو تبالغ، أو تلقي بالاتِّهَامات. كانت هذه هي الحقيقة البسيطة والرهيبة. ليس تعبير «العناية المُرَّة» انتقاصًا من شأن طرق الله، بل هو وصفٌ لها.

كذلك، ذكرتُ في الفصل الثاني أنَّ حلاوة كلمة الله لن تتناقض وسط هذه العناية المُرَّة — إذا تعلَّمتنا سرٌّ أن نكون «كَحَرَائِي وَتَحْنُ دَائِمًا فَرِحُونَ» (٢كورنثوس ٦:١٠)؛ وقلت إننا سنعود لاحقًا إلى هذا السرِّ، ثمَّ لخصته في جملةٍ واحدة على النحو الآتي: السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنع فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة. ومعرفتنا لهذا هي ما يصنعُ الفارق. أهدأ صحيح إبدأ؟

كَلِّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَع

إِنَّ هَدْيِي فِي هَذَا الْفَصْلِ، وَفِي الْفَصْلِ التَّالِي، أَنْ أُظْهِرَ أَنَّ اللَّهَ ضَابِطُ الْكَلِّ وَكَلِّي الْحِكْمَةَ. فَإِنَّ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى فَيروس كورونا. وَأُرِيدُ أَنْ أَوْضَحَ أَنَّ هَذِهِ أَخْبَارٌ سَارَّةٌ، بَلْ إِنَّهَا فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ سُرٌّ اخْتِبَارٍ حَلَاوَةِ اللَّهِ وَسُطُّ أَعْمَالِ عَنَايَتِهِ الْمُرَّةَ.

حِينَ نَقُولُ إِنَّ اللَّهَ ضَابِطُ الْكَلِّ، فَإِنَّا نَقْصِدُ أَنَّ لَهُ السُّلْطَانَ. وَيَعْنِي سُلْطَانُ اللَّهِ أَوْ سَيَادَتُهُ أَنَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَفْعَلَ، بَلْ يَفْعَلُ حَقًّا، كَلِّ مَا يَشَاءُ عَلَى نَحْوِ قَاطِعٍ أَنْ يَفْعَلَهُ. وَأَقُولُ عَلَى نَحْوِ قَاطِعٍ؛ لِأَنَّ اللَّهَ، مِنْ نَاحِيَةٍ، يَشَاءُ أُمُورًا لَكِنَّهُ لَا يَنْفِذُهَا؛ فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْبُرَ عَنْ رَغْبَاتٍ يَخْتَارُ هُوَ نَفْسَهُ أَلَّا يَحَقِّقَهَا. مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، هَذِهِ الْأُمُورُ لَيْسَتْ قَاطِعَةٌ؛ فَهُوَ نَفْسَهُ لَا يَسْمَحُ لِمِثْلِ هَذِهِ الرَّغْبَةِ أَوْ الْمَشِيئَةِ أَنْ تَرْقَى إِلَى مَسْتَوَى التَّنْفِيذِ.

تَأَمَّلْ مِثْلًا فِي مَرَاتِي إِرْمِيَا ٣: ٣٢-٣٣:

«فَإِنَّهُ وَلَوْ أَحْزَنَ يَرْحَمُ

حَسَبَ كَثْرَةِ مَرَامِيهِ.

لَأَنَّهُ لَا يُذِلُّ مِنْ قَلْبِهِ

وَلَا يُحْزِنُ بَنِي الْإِنْسَانِ».

يُحْزِنُنَا اللَّهُ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنْ لَيْسَ مِنْ قَلْبِهِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ مَعْنَى هَذَا هُوَ: مَعَ أَنَّ هُنَاكَ جَوَانِبَ مِنْ طَبِيعَةِ اللَّهِ (قَلْبِهِ) لَا تَمِيلُ إِلَى إِحْزَانِنَا، فَإِنَّ هُنَاكَ جَوَانِبَ أُخْرَى مِنْ طَبِيعَتِهِ تُمَلِّي (تُحْتَمُّ) قَدَاسَةَ إِحْزَانِنَا وَبِرَّهُ.

لَيْسَ اللَّهُ مَزْدَوِجَ الشَّخْصِيَّةِ، بَلْ يَكْمُنُ جَمَالٌ وَتَرَابُطٌ كَامِلَيْنِ فِي كَيْفِيَّةِ تَضَافُرِ جَمِيعِ صِفَاتِ اللَّهِ مَعًا. لَكِنْ، لَيْسَ اللَّهُ أَيْضًا خَالِيًا مِنَ التَّعْقِيدِ؛ فَإِنَّ طَبِيعَتَهُ أَشْبَهَ بِسَيِّمَفُونِيَّةٍ، أَكْثَرَ مِنْ كَوْنِهَا أَدَاءً صَوْتِيًّا مَنْفَرَدًا.

لذا، عندما أقول إنَّ سيادة الله تعني أنَّه يقدر أن يفعل، بل هو يفعل حقًّا، كلُّ ما يشاء على نحوٍ قاطع أن يفعله، فأنا أقصد أنَّه ما من قوَّةٍ خارجٍ ذاته يمكن أن تحبِّط مشيئته أو تعوقها. فحين يقرِّر الله حدوث شيء ما، فإنَّه يحدث. أو بكلماتٍ أخرى، يحدث كلُّ شيء؛ لأنَّ الله يشاءُ حدوثه.

سيادة شاملة

علِّم إشعياء أنَّ هذا جزءٌ من صميم معنى أن يكونَ الله هو الله:

«أَنَا اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ.

الإلهُ وَلَيْسَ مِثْلِي.

مُخْبِرٌ مُنْذُ الْبَدْءِ بِالْأَخِيرِ

وَمُنْذُ الْقَدِيمِ بِمَا لَمْ يُفْعَلْ

قَائِلًا: رَأْيِي يَفُومُ

وَأَفْعَلُ كُلَّ مَسَرَّتِي» (إشعياء ٤٦: ٩-١٠)

فأن يكونَ الله هو الله يعني أنه يجعلُ رأيه يقومُ -دائمًا- لا يكتفي الله بأن يخبر بالأحداث المستقبلية التي ستقع، بل يجعلها تقع أيضًا. فهو ينطق بكلمته، ثم يضيف: «أنا ساهرٌ على كلمتي لأجرِها» (إرميا ١: ١٢).

يعني هذا، كما علِّم أيُّوب من تجربته الصعبة: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ» (أيُّوب ٤٢: ٢)؛ أو كما علِّم نبوخذنصر حينما أدلَّه الله رحمةً به:

الجزء الأوّل: الإله المُتسلّط على فيروس كورونا

«وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ كَلَا شَيْءٍ
وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ
وَسُكَّانِ الْأَرْضِ
وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ
أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ (دانيال ٤: ٣٥)

أو كما قال كاتب المزمور:

«كُلُّ مَا شَاءَ الرَّبُّ صَنَعَ
فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ
فِي الْبَحَارِ وَفِي كُلِّ اللَّجَجِ» (مزمور ١٣٥: ٦)

أو كما أجمل الرسول بولس:

«الَّذِي يَعْمَلُ كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيٍ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ١١)

فهو يعمل «كُلَّ شَيْءٍ»، لا بعض الأشياء، «حَسَبَ رَأْيٍ مَشِيئَتِهِ»، لا حسب مشيئاتٍ أو قوى أخرى خارج ذاته.

بكلماتٍ أخرى، إنَّ سيادة الله شاملة؛ فهو متحكّم تحكُّمًا مطلقًا في هذا العالم؛ يتحكّم في الرياح (لوقا ٨: ٢٥)، والبروق (أَيُّوب ٣٦: ٣٢)، والثلج (مزمور ١٤٧: ١٦)، والصفادع (خروج ٨: ١٠-١٥)، والبعوض (خروج ٨: ٢٠-٣٢)، والجراد (خروج ١٠: ١٠-٢٠)، والسلوى (خروج ١٦: ٦-٨)، والدود (يونان ٤: ٧)، والأسماك (يونان ٢: ١٠)، والعصافير (متّى ١٠: ٢٩)، والعشب (مزمور ١٤٧: ٨)، والنباتات (يونان ٤: ٦)، والمجاعات (مزمور ١٠٥: ١٦)، والشمس (يشوع ١٠: ١٢-١٣)، وأبواب السجن (أعمال الرسل ١٩: ٥)، والعمى (خروج ٤: ١١؛ لوقا ١٨: ٤٢)، والصَّمَم (خروج ٤: ١١؛ مرقس ٧: ٣٧)، والشلل (لوقا ٥: ٢٤-٢٥)، والحُمَّى (متّى ٨: ١٥)، كما يتحكّم في

الجزء الأوّل: الإله المُتسلّط على فيروس كورونا

كلّ مرض (متّى ٤: ٢٣)، وفي خُطط السفر (يعقوب ٤: ١٣-١٥)، وفي قلوب الملوك (أمثال ١: ٢١؛ دانيال ٢: ٢١)، وفي الأمم (مزمو ٣٣: ١٠)، وفي القتلة (أعمال ٤: ٢٧-٢٨)، وبتحكّم أيضًا في الموت الروحيّ (أفسس ٤: ٥) — وهذه جميعها تنفّذُ مشيئته السياديّة.

ليس هذا أوان الآراء العاطفيّة عن الله

الله هو إذًا مَنْ أرسلَ فيروس كورونا. ليس هذا أوان الآراء العاطفيّة عن الله. هذا وقتٌ مُرٌّ، والله هو مَنْ عيّنهُ، وهو ضابطه، وهو مَنْ سيُنهيهِ. ولا شيء خارج عن نطاق سيطرته؛ فالحياة والموت في يده.
لم يخطئ أيّوب بشفتيه حين قال:

«عَرِيَانًا خَرَجْتُ مِنْ بَطْنِ أُمِّي

وَعَرِيَانًا أَعُودُ إِلَى هُنَاكَ.

الرَّبُّ أَعْطَى

وَالرَّبُّ أَخَذَ

فَلْيَكُنْ اسْمُ الرَّبِّ مُبَارَكًا»

(أيّوب ١: ٢١)

الرَّبُّ أعطى والرَّبُّ أخذ. كان الرّبُّ هو مَنْ أخذَ أبناء أيّوب العشرة. لا أحد لديه الحقُّ أن يعيشَ في محضر الله. فإنَّ كلَّ نَفْسٍ نلتقطه هو عطيةُ النعمة. وكلُّ نبضة قلب هي أمرٌ لا نستحقّه. فالحياة والموت

الجزء الأوّل: الإله المُتسلّط على فيروس كورونا

هما في النهاية في يد الله:

«انظروا الآن! أنا أنا هو»

وليس إله معي.

أنا أميتٌ وأحيي.

سَحَقْتُ وَإِنِّي أَشْفِي

وَلَيْسَ مِنْ يَدِي مُخَلَّصٌ» (تثنية ٣٢:٣٩)

لذا، بينما نفكّر في مستقبلنا مع وجود فيروس كورونا — أو مع وجود
آية أحوالٍ أُخرى تهدّد حياتنا — يخبرنا يعقوبٌ بالكيفيّة التي ينبغي
بها أن نفكّر ونتكلّم:

«أَنْ تَقُولُوا: إِنَّ شَاءَ الرَّبِّ وَعِشْنَا نَفْعَلْ هَذَا أَوْ ذَاكَ»

(يعقوب ٤:١٥)

إِنَّ شَاءَ الرَّبِّ سَنَعِيشُ. وَإِنْ لَمْ يَشَأْ، فَلَنْ نَعِيشُ.

رَبِّمَا لَنْ أَعِيشَ حَتَّى أَشْهَدَ نَشْرَ هَذَا الْكِتَابِ؛ فَقَدْ أُصِيبُ وَاحِدٌ
عَلَى الْأَقْلُ مِنْ أَقَارِبِي بَعْدَى فَيَرُوسِ كُورُونَا، وَأَنَا فِي الرَّابِعَةِ وَالسَّبْعِينَ
مِنْ عَمْرِي، وَلَدَيَّ رَتْنَانٌ ضَعِيفَتَانِ بِسَبَبِ جَلْطَةِ دَمَوِيَّةٍ، وَالتَّهَابِ
مُوسَمِيٍّ فِي الشُّعْبِ الْهَوَائِيَّةِ. لَكِنْ لَيْسَتْ هَذِهِ الْعَوَامِلُ هِيَ الَّتِي
تَقَرَّرُ مَصِيرِي، بَلِ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ. أَهَذِهِ أَخْبَارٌ سَارَةٌ؟ نَعَمْ. وَسَوْفَ
أَحَاوِلُ أَنْ أَبَيِّنَ السَّبَبَ فِي الْفَصْلِ التَّالِيِ.

الفصل الخامس: حلاوة سلطانه

لماذا ينبغي أن أستقبلَ خبرَ سيادة الله على فيروس كورونا، وعلى حياتي، على أنه تعليمٌ حلّوٌ وسارٌ؟ السرُّ، كما ذكرتُ سابقًا، يكمن في معرفة أن السيادة نفسها التي كان في وسعها أن تمنع فيروس كورونا، لكنّها لم تفعل، هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة. بتعبيرٍ آخر، إنَّ حاولنا تبرئة الله من سيادته على الأمم، فنحن بهذا نضحى بسيادته على تحويل كلِّ الأشياء للخير.

إطاحة الله عن عرشه ليست بالخبر السارّ

إنَّ السيادةَ نفسها التي تسيطر على المرض هي التي تساند في أوقات الخسارة والفقدان. والسيادة نفسها التي تأخذ الحياة هي التي هزمت الموت، وأعدت المؤمنين إلى السماء وإلى المسيح. ليس بالأمر السارّ أن نظنَّ أن الشيطان، أو المرض، أو العملَ التخريبي، أو القَدْر، أو الصدفة لها القولُ القَصْلُ في حياتي. ليست هذه أخبارًا سارّة.

لكنَّ حُكْمَ الله وسيادته هما حقًّا أخبار سارّة. لماذا؟ لأنَّ الله قدّوسٌ وبارٌّ وصالحٌ وغيرٌ محدودٍ في حكمته؛ فهو «عِنْدَهُ الْحِكْمَةُ وَالْقُدْرَةُ. لَهُ الْمَشُورَةُ وَالْفِطْنَةُ» (أَيُّوبَ ١٢: ١٣)، و«لِفَهْمِهِ لَا إِخْصَاءَ» (مزمو ١٤٧: ٥)، و«يَا لَعَمْرِي غِنَى اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ» (رومية ١١: ٣٣). وهدفه الأكبر هو أن «يَعْرِفَ الْآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلَاطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ... بِحِكْمَةِ اللَّهِ الْمُتَنَوَّعَةِ» (أفسس ٣: ١٠).

لا شيء يباغتُ الله، أو يربِّكُه، أو يُحَيِّرُه؛ فقدرتُه غير المحدودة هي في يد قداسته وبرِّه وصلاحه غير المحدودة — وكذلك في يد حكمته غير المحدودة. وكلُّ ذلك هو في خدمة أولئك الذين يؤمنون بابنه، يسوع المسيح. وهناك صلةٌ وثيقةٌ ما بين فيروس كورونا وإرسال الله يسوع كي يموتَ عن الخطاة.

كيف ضمن الله «كلَّ شيءٍ» للخطاة

تَكْمُنُ طبيعَةُ هذه الصلة في الآية في رومية ٨:٣٢ التي تقول: «الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَلَهُ لِأَجْلِنا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» يعني هذا أَنَّ استعدادَ الله لأن يرسلَ ابنه كي يُصَلِّبَ عوضًا عَنَّا كان إعلانًا وتصديقًا منه على أَنَّهُ سوف يستخدم كلَّ سيادته كي «يَهْبِنَا كُلَّ شَيْءٍ». فعبارة «كَيْفَ لَا يَهْبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» تعني أَنَّهُ قطعًا وبكُلِّ تأكيد سيفعل ذلك، وأنَّ هذا مضمونٌ بدم ابنه.

وما «كلَّ شيءٍ» الذي يتحدَّثُ النصُّ بشأنه؟ هو الأمور التي نحتاج إليها كي نصنعَ مشيئته، ومجدِّد اسمه، ونصل بسلام إلى محضره البهيج.

فبعد ثلاث آيات، أوضح بولس الرسول كيفية حدوث ذلك على أرض الواقع — أي في وسط فيروس كورونا. كيف سيبدو الوضع إذًا حين يلتقي فيروس كورونا وتعهدُ الله غير المحدود، والمعتمد بالدم، بأنَّ يَهْبِنَا «كلَّ شيءٍ»؟ إليكم ما يقوله بولس الرسول في هذا الشأن:

«مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَن مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمْ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عَرِيٌّ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:
إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ مُمَاتُ كُلِّ النَّهَارِ.
قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ.
وَلَكِنَّا فِي هَذِهِ جَمِيعَهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا»

(رومية ٨:٣٥-٣٧)

لا تَفْتُنْكَ هذه الكلمات المذهلة، رغم أنها موجعة: «مَمَاتُ كُلِّ النَّهَارِ». يعني ذلك أَنَّ عبورنا آمين من الموت هو أحد الأمور التي لنا من الله ضمن «كُلِّ شيء» الذي سيهبنا الله إيَّاه؛ فهو لم يشفق على ابنه، بل بذله من أجلنا، أو كما يقول رومية ٨: ٣٨-٣٩: «فَيَايُ مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لَا مَوْتَ وَلَا حَيَاةَ ... تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا».

ما يقصد به الشيطان شرًّا

حتَّى لو كانت للشيطان — بحسب القَدْر الذي يُسمح له به — علاقةٌ بآلنا وموتنا، فهو ليس مطلق القوَّة. لا يقدر الشيطان أن يؤذينا دون سماح من الله، ودون حدودٍ موضوعةٍ له (أيُّوب ١: ١٢؛ لوقا ٢٢: ٣١؛ ٢ كورنثوس ١٢: ٧). في النهاية، من الصواب أن نقول للشيطان ما قاله يوسف لإخوته الذين باعوه عبدًا: «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا» (تكوين ٥٠: ٢٠).

لكن احتس من أن تخفَّف من معنى هذه الفكرة. لا يعني ذلك أن «الله استخدم الشرَّ للخير»، أو أنه «حوَّل الشرَّ إلى خير»؛ لأنَّ يوسف قال: «أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا». كان قصدُ إخوة يوسف شرًّا، في حين كان قصد الله للخير. لم يبدأ الله بمعالجة نتائج هذا العمل الشرِّير في منتصف الطريق، بل كان لديه قصد ومغزى منذ البداية. فمنذ البداية، قصد الله به خيرًا.

هذا هو مفتاحُ عزائنا حين يتسبَّب شرُّ البشر وشرُّ الشيطان في آلامنا. ففي المسيح، لدينا كلُّ الحقِّ أن نقول للشيطان (أو للأشرار): «أَنْتُمْ قَصَدْتُمْ لِي شَرًّا أَمَّا اللَّهُ فَقَصَدَ بِهِ خَيْرًا». فلا الشيطان، ولا المرض، ولا الإنسان الخاطئ يملكون السيادة، بل الله وحده هو صاحبُ السيادة. وهو صالح وحكيم وذو سلطان.

ليس عصفورًا، بل كلُّ شعرة

كان كلام يسوع لتلاميذه عن حلاوة سيادة الله هو الأجمَل والأروع:

«أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يَبَاعَانِ بِفَلْسٍ؟ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ
عَلَى الْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ
جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلَا تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ»
(متى ١٠: ٢٩-٣١)

لا يسقط عصفورٌ واحدٌ إلَّا بحسب خُطَّةِ الله، ولا يتحرَّكُ فيروس واحدٌ إلَّا
بحسب خُطَّةِ الله. هذه سيادةٌ بالغةٌ التدقيق والاهتمام بالتفاصيل. ثمَّ
ماذا قال يسوع بعد هذا؟ قال ثلاثة أمور: أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ
كَثِيرَةٍ، وشُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ، فَلَا تَخَافُوا.

ولمَ علينا أَلَّا نخاف؟ لَأَنَّ سيادة الله المدقَّقة هذه — سواء عشنا أم
مُتْنَا — تخدم قداسته وبرَّه وصلاحه وحكمته. فإنَّنا في المسيح لسنا
قَطَع شِطْرُنَج في لعبة الله يمكن الاستغناء عنها، بل نحن أبناؤه الأعزَّاء
عليه — «أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ».

هذا هو السرُّ الذي تحدَّثتُ بشأنه سابقًا: معرفة أن السيادة
نفسها التي كان في وسعها أن تمنع فيروس كورونا، لكنَّها لم تفعل،
هي التي تساند النفس وتدعمها في أثناء الأزمة. ولا يتوقَّفُ الله في
سيادته عند مجردِّ الدعم والمساندة، بل يحرص على أن تعمل كلُّ
الأشياء، سواء كانت مُرَّة أم حُلوة، معًا لخيرنا، أي لخير الذين يحبُّون
الله، والمدعوِّين في المسيح (رومية ٨: ٢٨-٣٠).

لن أموتَ حتَّى ينتهي عملي

هذا النوع من اليقين الراسخ كالصخر في وجه الموت هو ما أمَدَّ
شعبَ المسيح بالجرأة والبسالة طوال أَلْفَي سنة. فقد كان حقُّ سيادة

الله الحكيمه والصالحه هو القوّة التي ثبّتت آلاف المؤمنين، ومكّنّتهم من تقديم تضحيات المحبّة.

مثلاً، في كانون الثاني/يناير من عام ١٨١٢م، كتب هنري مارتن (Henry Martyn)، المرسل إلى الهند وبلاد فارس، والذي مات بالطاعون (وبأ نظير فيروس كورونا)، وهو في الحادية والثلاثين من عمره (١٦ تشرين الأوّل/أكتوبر ١٨١٢م)، الكلمات التالية في مذكّراته:

«حسبما أرى، ستكون السنة الحاليّة أخطر من أيّة سنةٍ أخرى مضت. لكن، إن بقيتُ على قيد الحياة حتّى انتهائي من ترجمة العهد الجديد إلى اللغة الفارسيّة، فلن تكون حياتي بعد هذا أهمّيّة كبيرة. وسواء كان نصيبي هو الحياة أم الموت، فليتعضّم المسيحُ في! فإذا كان لديه عملٌ آخر يريدني أن أقوم به، فلن أموت».

أعيد صياغة هذا التعبير كثيراً على النحو التالي: «لن أموت حتّى ينتهي عملُ المسيح الذي حدّده لي». وهذا صحيح تماماً؛ لأنّه قائمٌ على حقيقة أنّ الحياة والموت هما في يد إلها صاحب السيادة. حقّاً إنّ قضيّة المسيح بأكملها هي في يده. فقبل ذلك بسبع سنوات، كتب مارتن، وهو في الرابعة والعشرين من عمره، الكلمات التالية:

«لو لم يكن الله سيّد الكون، لكنّ شقيّاً وبائساً جداً. لكنّ الربّ هو من يملك، فلتبتهج الأرض. وسوف تنتصر قضيّة المسيح. ابتهجي يا نفسي بهذا الرجاء».

الجزء الثاني:

ماذا يفعل الله

بواسطة

فيروس كورونا؟

أفكارٌ تمهيديةٌ: رؤيةٌ وتوجيهٌ أنظار

إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ قَدْ أُطِيعَ عَنْ عَرْشِهِ؛ وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ مَنْ يَضْبُطُ «كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ رَأْيِ مَشِيئَتِهِ» (أفسس ١: ١١)، وَإِنْ كَانَ وَبَاءَ فَيروس كورونا هَذَا، بِكُلِّ مَا يَسْبَبُهُ مِنْ خَرَابٍ، هُوَ فِي يَدِهِ الْمُتَّسِمَةِ بِالْقِدَاسَةِ وَالْبِرِّ وَالصَّلَاحِ وَالْحِكْمَةِ، فَمَاذَا يَفْعَلُ اللهُ إِذَا؟ وَمَا مَقَاصِدُهُ؟

كُفُّوا عَنِ الْإِنْسَانِ

أَوَّلُ مَا أَوْدَّ أَنْ أَقُولَهُ، قَبْلَ مَحَاوَلَةِ الْإِجَابَةِ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ، هُوَ أَنْ رَأَيْتِي، بِالْمُقَارَنَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ، لَا يَسَاوِي شَيْئًا، وَكَذَلِكَ رَأَيْتُكَ أَنْتِ أَيْضًا؛ فَمَا نَظْنُهُ، بِحَسَبِ مَا يَهْلِيهِ عَلَيْنَا تَفْكِيرُنَا، لَيْسَ ذَا أَهْمِيَّةٍ تُذَكِّرُ. يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ: «الْمُتَّكِلُ عَلَى قَلْبِهِ هُوَ جَاهِلٌ» (أمثال ٢٨: ٢٦)، فِي الْمُقَابِلِ، يُوَصِّينَا بِالآتِي: «تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ» (أمثال ٣: ٥).

فإِنَّنا، نحن البشرَ، محدودون، وخطاةٌ، ومقيّدون بحدود ثقافتنا، ونتشكّل (ويُساء تشكيلنا أيضًا) بحسب جيناتنا وتاريخنا الشخصي. ويخرجُ من داخل قلوبنا وعقولنا وأفواهنا كلُّ أشكال التبريرات لما نفضّله ونميل إليه. لذا، من الحكمة أن ننتبه إلى قول إشعياء النبي: «كُفُّوا عَنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي فِي أَنْفِهِ نَسَمَةٌ لِأَنَّهُ مَاذَا يُحْسَبُ؟» (إشعياء ٢: ٢٢).

أَلَا يَعْدُ إِذَا تَأَلَّفِي هَذَا الْكِتَابَ عَجْرَفَةً؟ فَضلاً عَنْ وَجُودِ قِسْمٍ كَامِلٍ فِيهِ بَعْنَوَانُ: «مَاذَا يَفْعَلُ اللهُ بِوَأَسْطَةِ فَيروس كورونا؟»؟

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

كلّا، ليس هذا عجرفةً. ليس إن كان الله قد تكلم بالفعل في الكتاب المقدّس؛ وليس إن كان قد تنازل كي يحدثنا بكلمات بشريّة حتّى يتسنى لنا أن نعرفه ونعرف طرقه بالحقيقة (وإن كان بصورة جزئية)، وليس إن كانت كلمات بولس الرسول صحيحة: «[الله] أجزّلها [نعمته] لنا بكلّ حكمه وفطنه، إذ عرفنا بسرّ مشيئته» (أفسس ١: ٨-٩)؛ وليس إن كنا، كما قال بولس حين نقرا سنقدر أن نفهم «درائتي بسرّ المسيح» (أفسس ٣: ٤).

ليس الله متكتمًا بشأن ما يفعله في هذا العالم؛ فقد أعطانا الكتاب المقدّس. وقد أشرت في الفصل الثاني إلى بعض الأسباب التي تدعونا إلى الثقة بأن هذا الكتاب المقدّس هو كلمة الله. لذا، لست أهدف هنا إلى تخيل أو ابتكار أفكار بشأن ما قد يفعله الله، بل هدي في الحقيقي هو أن أصغي إلى كلمته في الكتاب المقدّس، ثمّ أستودعكم ما أسمع.

ما أبعد طرقه عن الاستقصاء!

أودُّ أن أقول شيئاً آخر قبل محاولة الإجابة عن سؤال: «ماذا يفعل الله؟»، وهو إن الله دائماً ما يفعل مليارات الأشياء التي لا نعرفها:

«كثيراً ما جعلت أنت أيها الربُّ إلهي

عجائبك وأفكارك من جهتنا.

لا نقومُ لذكرك.

لأخبرنّ وأتكلمنّ بها.

زادت عن أن تعدّ» (مزمور ٤٠: ٥)

فإنّ مقاصده من وراء فيروس كورونا ليست فقط أكثر جدّاً من أن تُحصى، بل هي، من نواحٍ عدّة، بعيدة عن الاستقصاء. «يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الاستِقْصَاءِ!« (رومية ١١: ٣٣). لكن، عندما كتب بولس هذا، لم يكن يقصد أن يقول لنا: «أغلقوا إإذا كتبكم المقدسة، واصنعوا واقعكم الخاص». بل على النقيض، هذه الكلمات عن طرق الله البعيدة عن الاستقصاء كانت ذروة أحد عشر أصحابًا، قرأنا فيها أعظم الأخبار، والتي كُتبت جميعها كي نفهمها. مثلًا، حين تناول بولس حتمية الألم، قال:

«بَلْ نَفْتَحِرُ أَيضًا فِي الصِّيَقَاتِ عَالِمِينَ أَنَّ الصِّيَقَ يُنْشِئُ صَبْرًا
وَالصَّبْرُ تَزْكِيَةٌ وَالتَّزْكِيَةُ رَجَاءٌ وَالرَّجَاءُ لَا يُخْزِي لَأَنَّ مَحَبَّةَ
اللَّهِ قَدْ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا»
(رومية ٥: ٣-٥).

«عَالِمِينَ»! كُتِبَ الكتاب المقدس حتى نعلم الأمور التي أعلنها الله، ولا سيما بشأن الألم — بما في ذلك آلام تفشي فيروس كورونا. وهكذا فإنَّ تعبير «بعيدة عن الاستقصاء» يعني أن الله دائماً ما يفعل ما يفوق قدرتنا على الرؤية، بل حتى ما يمكننا أن نراه، ما كنا لنراه لولا أنه أعلنه لنا.

توجيه الأنظار إلى واقع

ليس دوري هنا إإذا هو أن أتخيّل، كما تخبرنا أغنية جون لينون الشهيرة بعنوان «Imagine» (بمعنى تخيّل)،^٧ والتي فيها يطلبُ إلينا أن نتخيّل أنه لا توجد سماء، ولا جحيم، بل فقط السماء الزرقاء من فوقنا. ثمَّ يقول: «مثل هذا التخيّل سهلٌ. فقط جرِّبه». أجل، هو سهلٌ حقًا، بل أسهلُّ من اللازم. لكن، يفرض فيروس كورونا واقعًا صعبًا، لا تخيُّلات سهلة. والله وكلمته هما الواقع الذي نحتاج إليه — أي الصخرة التي نقف عليها. لذا، فهدفي هنا هو أن أوجّه الأنظار إلى الواقع، لا أن أختلق واقعًا. هدفي أن أسمع ما قاله الله، وأقرُّ به وأؤيِّده، لا أن أتخيّل.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

سوف أوجّه أنظارك إلى ما يعلّمه الكتاب المقدّس، ثمّ أربط هذا بفيروس كورونا. وسيكون عليك أن تحكّم بالحقّ.

أقول ذلك لأنّ هذا هو ما أخبرنا به يسوع بشأن «تمييز هذا الزمان». فقد كان ساعطاً لأنّ الناس كانوا يستطيعون استخدام عقولهم ومنطقهم لفهم أنماط الحالة الجويّة، في حين عجزوا عن استخدامه لفهم أعمال الله في التاريخ:

«يَا مُرَاوُونَ تَعْرِفُونَ أَنَّ مُمَيِّزُوا وَجْهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ وَأَمَّا هَذَا الزَّمَانُ
فَكَيْفَ لَا مُمَيِّزُونَهُ؟ وَلِمَاذَا لَا تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قِبَلِ نُفُوسِكُمْ؟»
(لوقا ١٢: ٥٦-٥٧)

لذلك، رجائي هو أن تطلبَ معونةَ الله، وتنظرَ إلى كلمة الله، ثمّ تحكّم بنفسك بالحقّ. أتمنى أن تمتحن ما أقوله بحسب المكتوب (١ يوحنا ٤: ١)، وأن تتمسك بالحقّ (١ تسالونيكي ٥: ٢١).

سِتّة مسارات ينبغي السلوك فيها

يمكن أن تكتب صفحات كثيرة عن كلّ إجابة من الإجابات الستّة التي سأقدمها في ما يلي عن سؤال: «ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟» لكن، نظراً إلى ضيق الوقت، فلن أطيّل في ذلك، بل سأكتفي فقط بتوجيه الأنظار إلى مسارات الحقّ الكتابي التي أرجو أن تتبّعها بعد أن تغلّق هذا الكتاب. كنتُ أتمنى لو أمكننا السير معاً في تلك المسارات مسافة طويلة، لكنّ سيكون عليّ أن أترك لك هذه المهمّة، وأدعو الله أن يرشدك.

ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الفصل السادس: إظهارُ البشاعةِ الأدبيَّةِ للخطيَّةِ

الإجابة الأولى

يرسم الله للعالم، بواسطة وباء فيروس كورونا، كما بواسطة آية بليَّة أخرى، صورةً مادِّيَّةً وملموسَةً للبشاعةِ الأدبيَّةِ والقُبْحِ الروحيِّ للخطيَّةِ التي تحطُّ من قدر الله.

في واقع الأمر، الخطيَّةُ هي سبب كلِّ شفاءٍ وبؤسٍ مادِّيٍّ. يروي لنا الأصحاح الثالث في الكتاب المقدَّس الكيفيَّة التي دخلتُ بها الخطيَّةُ العالم، مبيِّناً أنَّ الخطيَّةَ هي أصل الخراب والشفاء الموجود في العالم (تكوين ١:٣-١٩). وقد لخص بولس الأمر في رومية ١٢:٥ قائلاً: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَاَزَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ».

ومنذ ذلك الحين، ظلَّ العالم في حالة انكسار، وصار كلُّ جمالٍ فيه ممتزجاً بالشرِّ والكوارث والأمراض والإحباطات. فقد خلقه الله عالمًا مثاليًّا: «وَرَأَى اللَّهُ كُلَّ مَا عَمَلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تكوين ١:٣١)؛

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

لكن، منذ سقوط البشريّة في الخطيئة وحتّى يومنا هذا، لم يُعَدِ التاريخ، مع كلِّ عجائبه، سوى سيرٍ متحرِّكٍ ينقلُ الجثث.

السقوط دينونة

لا يحسبُ الكتاب المقدّسُ هذا الانكسار أمرًا طبيعيًّا، بل يرى أنّه دينونةُ الله على عالمٍ استشرَّت فيه الخطيئة. وإليكم وصفَ بولس لنتائج دينونة الله على العالم بسبب الخطيئة:

«إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ - لَيْسَ طَوْعًا بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أُخْضِعَهَا — عَلَى الرَّجَاءِ. لِأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتَعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ. فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَتُّنُ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الْآنَ» (رومية ٨: ٢٠-٢٢).

البُطل؛ عبوديّة الفساد؛ الأنين — هذه صورٌ للخراب والبؤس الشامل الذي حلَّ منذ أن دخلت الخطيئة العالم. ويقول بولس إنَّ هذا الخراب هو بسبب دينونة الله: «إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ ... مِنْ أَجْلِ الَّذِي أُخْضِعَهَا — عَلَى الرَّجَاءِ» (رومية ٨: ٢٠). لم يكن الشيطان هو مَنْ أخضع الخليفة على الرجاء؛ ولم يكن آدم هو مَنْ أخضعها على الرجاء، بل الله هو مَنْ فعل ذلك، كما قال بولس في رومية ٥: ١٦: «لِأَنَّ الْحُكْمَ مِنْ وَاحِدٍ لِلدَّيْنُونَةِ».

أولاد الله أنفسهم تحت الدينونة

لا شكَّ أنَّ عبارة «حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ» (رومية ٨: ٢١) مملوءةٌ بالرجاء؛ فلدى الله حُطَّةٌ مذهلةٌ بشأن خليقةٍ جديدة، حيث «يَمَسِّحُ اللَّهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ» (رؤيا ٤: ٢١). أمَّا في الوقت الحالي، فجميعنا تحت دينونة الله. فقد أخضع الله العالم للموت والكوارث والبؤس.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

أجل، حتّى أولاد الله أنفسهم — الذين «سَبَقَ فَعَيَّنَهُمَ لِلتَّبَيُّي» (أفسس ١: ٥)، وافتداهم بدم ابنه (أفسس ١: ٧)، وعيّنهم للحياة الأبدية (أفسس ١: ١٨) - أي نحن أنفسنا نتألم ونموت بسبب الدينونة التي أوقعها الله في السقوط: «بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسَنَا أَيضًا نَتَّبِعُ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَيُّي فِدَاءَ أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢٣). يُكْتَسَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِمِيَاهِ أَمْوَاجِ تَسُونَامِي، وَيُقْتَلُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْهَجْمَاتِ الْإِرْهَابِيَّةِ، وَيُصَابُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدَى فَيَرُوسِ كُورُونَا.

تنقية لا عقاب

يَكْمُنُ الْفَرْقُ، عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ — أَي الَّذِينَ قَبَلُوا الْمَسِيحَ بِصِفَتِهِ كَنْزِهِمِ الْأَسْمَى — فِي أَنَّ اخْتِيَارَ هَذَا الْأَمِّ وَالْفَسَادِ لَيْسَ دِينُونَةً: «إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الدِّيُونَةِ الْآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رومية ٨: ١)؛ فهو للمؤمنين أم تنقية، وليس ألم عقاب.

«لَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ» (١ تسالونيكي ٥: ٩). فَإِنَّا، نَظِيرَ جَمِيعِ الْبَشَرِ، مَيُوتُ مِنْ جَرَاءِ أَمْرَاضٍ أَوْ كَوَارِثٍ، لَكِنْ لِأَنَّ فِي الْمَسِيحِ، فَقَدْ انْتَرَعَتْ «شُوكَةُ» الْمَوْتِ (١ كورنثوس ١٥: ٥٥)، وَصَارَ «الْمَوْتُ هُوَ رُبْحٌ» (فيلبي ١: ٢١). فَقَدْ صَارَ رَحِيلُنَا عَنِ الْعَالَمِ يَعْنِي أَنْ نَكُونَ «مَعَ الْمَسِيحِ» (فيلبي ١: ٢٣).

الشیطان حقیقة، لكن حریتة مقیّدة

حِينَ أَنْسَبَ مَآسِي هَذَا الْعَالَمِ وَأَلَامِهِ إِلَى دِينُونَةِ اللَّهِ، فَلَسْتُ بِهَذَا أَعْمَى عَيْنِي عَنِ حَقِيقَةِ أَنَّ لِلشَّيْطَانَ عِلَاقَةً كَبِيرَةً بِشِقَاتِنَا الْعَالَمِيَّةِ. فَإِنَّ الْكِتَابَ الْمُقَدَّسَ يَسْمِي الشَّيْطَانَ: «إِلَهُ هَذَا الدَّهْرِ» (٢ كورنثوس ٤: ٤)، وَرَّئِيسَ هَذَا الْعَالَمِ «يُوحَنَّا ١٢: ٣١»، وَرَّئِيسَ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ «(أفسس ٢: ٢). وَقَدْ كَانَ «قَتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدَنِ» (يُوحَنَّا ٨: ٤٤). وَهُوَ «يُرْبِطُ» الْبَشَرَ، وَ«يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِمْ» بِأَمْرَاضٍ كَثِيرَةٍ (لُوقَا ١٣: ١٦؛ أَعْمَالُ الرِّسْلِ ١٠: ٣٨).

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

لكنَّ الشيطانَ مربوطٌ بلِجام، ونهاية هذا اللجام في يد الله؛ فالشيطان لا يعملُ دونَ إذنٍ من الله، ولا يتصرّف إلاّ بِسماحٍ منه، وبحسبِ حدودٍ معيَّنةٍ موضوعةٍ له (أُيُوب ١: ١٢؛ ٢: ٦؛ لوقا ٢٢: ٣١؛ ٢ كورنثوس ١٢: ٧). الله هو مَنْ يقرّرُ بصورةٍ نهائيّةٍ مدى الضّرر الذي سيوقّعه الشيطان. وليس الشيطانُ منفصلاً عن دينونة الله، بل بالأحرى يخدمها — وإن كان على نحوٍ غير متعمّد.

السؤال الأساسي

والآن، إليكم السؤال الذي يسلّط مزيداً من الضوء على المغزى من فيروس كورونا: «لم يوقّع الله على العالم دينونةً ماديّةً بسبب شرّ أدبي؟» فقد عصى آدم وحوّاء الله، وانقلبا عليه، وفضّلا حكمتهما على حكمته، والاستقلال عنه على الاتّكال عليه. لكن كان هذا العصيان، وهذا التفضيل شرّاً روحيّاً وأدبيّاً، أي خطيئةً في الروح لا في الجسد. فقد كانت تتعلّق بالله في المقام الأوّل، لا بالإنسان.

لكنّ الله، في ردّ فعلٍ على هذا التمرد الأدبيّ والروحيّ، أخضع العالم المادّيّ للكوارث والشقاء. لماذا؟ لماذا لم يترك العالم المادّيّ على حالته الحسنة، ويجلب الشقاء على الروح البشريّة، ما دام قد بدأ منها كلّ شيء؟

إجابة مقترحة

إليكم إجابتي المقترحة: وضع الله العالم المادّيّ تحت لعنةٍ حتّى تصير الأهوال الماديّة الملموسة التي نراها من حولنا في الأمراض والبلايا صورةً حيّةً وواضحةً تُظهر لنا مدى بشاعة الخطيئة. بمعنى آخر، الشرّ المادّيّ مثل، أو مشهدٌ دراميّ، أو لافتةٌ تشيرُ إلى الفظاعة الأدبيّة للتمرد على الله.

كيف يُعَدُّ هذا ملاءمًا؟ هذا ملاءمٌ لأننا، في وضعنا الحاليّ بعد السقوط، وقد أصابتنا الخطيئة بالعمى، عاجزون عن رؤية قبح ارتكاب الخطيئة في حقِّ الله والشعور بمدى بشاعتها. فنادرًا ما يشعر أحدُهم بمدى بشاعة تفضيل أشياءٍ أخرى على الله. بل مَنْ مَنَّا يجافيه النوم بسبب تقيله اليوميّ من شأن الله بتجاهله أو عصيانه؟

لكنْ ما أشدَّ ما نشعر بالآلما المادّيّة! وكم نغضب إذا مسَّ الله أجسادنا! ربَّما لا نحزن لأننا نحطُّ من قدر الله في قلوبنا كلَّ يوم. لكنْ فليهدِّدْ فيروس كورونا أجسادنا، وحينئذ سيستحوذُ الله على كلِّ انتباهنا. أليس هذا صحيحًا؟ فالألمُ المادّيُّ هو بوقُ الله الذي يضربُ به كي يخبرنا بأنَّ العالمَ يعاني خَطْبًا مروِّعًا. فالأمراض والتشوُّهات هي صورٌ يرسمُها الله في العالمِ المادّيِّ كي يُظهِر لنا الكيفيَّة التي تبدو الخطيئة عليها في العالمِ الروحيِّ.

يظُلُّ هذا صحيحًا، حتَّى وإن أُصيبَ بعضٌ من أتقى المؤمنين في العالم بهذه الأمراض والتشوُّهات. فالبلايا عيِّنة يُظهِر بها الله لنا ما تستحقُّه الخطيئة، وما ستناله يومًا في الدينونة، لكنْ بدرجةٍ أسوأ بما لا يُقاس. فهي تحذيرات، ونداءاتٌ صحوَّة تنبِّهنا إلى البشاعة الأدبيَّة والقبح الروحيِّ لارتكاب الخطيئة في حقِّ الله.

ليت هذا يجعلنا جميعًا ندرك ونشعر بمدى كراهية، وقبح، وبشاعة تعاملنا مع خالقنا بازدراء، وتجاهلنا له، وعدم وَضْعِ ثقتنا فيه، وحطِّنا من قدره، ومنحه اهتمامًا في قلوبنا أقلَّ حتَّى من الذي نوليهِ لتصفيفة شعرنا.

نحتاج لأن نرى ذلك، ونشعر به، وإلا فلن نلتفتَ إلى المسيح طالبين الخلاص من قُبْح الخطيئة. ربَّما نصرخ طالبين النجاة من عقوبة الخطيئة، لكنْ أعلنا نرى ونبغض ذلك القبحِ الأدبيِّ للخطيئة، الذي يحطُّ من قَدْرِ الله؟ إذا لم يحدث ذلك، فلن يكون السبب هو

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَمِدَّنَا بِصُورٍ حَيَّةٍ وَوَاضِحَةٍ لَهَا فِي شِقَائِنَا الْمَادِّيِّ- مِثْلَ فَيروسِ كورونَا. وَمَنْ نَمَّ، يَصْرُخُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ، قَائِلًا لَنَا: اسْتَيْقِظُوا! هَكَذَا تَبْدُو الْخَطِيئَةَ فِي حَقِّ اللَّهِ؛ فَهِيَ بِشَعَّةٍ وَقَبِيحَةٌ، وَأَخْطَرُ كَثِيرًا مِنْ فَيروسِ كورونَا.

الفصل السابع: إيقاع دينونات إلهية خاصة

الإجابة الثانية

سوف يصاب بعض الأشخاص بعدوى فيروس كورونا كدينونة خاصة من الله عليهم، بسبب توجهاتهم وأفعالهم الخاطئة.

لا تعني حقيقة أن كل شقاء هو نتيجة للسقوط — أي نتيجة دخول الخطيئة التي تحط من قدر الله إلى العالم — أن كل ألم فردي يُعد دينونة خاصة من الله على خطايا شخصية. فمثلاً، لم تكن آلام أيوب بسبب خطايا الشخصية، ويتضح ذلك من أول آية في السفر: «كَانَ رَجُلٌ ... اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هَذَا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا يَتَّقِي اللَّهَ وَيَجِدُ عَنِ الشَّرِّ» (أيوب ١:١).

وكما رأينا سابقاً، يقاسي شعبُ الله الكثير من النتائج المادية لدينونه. وقد عبّر الرسول بطرس عن الأمر بهذه الكلمات:

«لَأَنَّه الْوَقْتُ لِابْتِدَاءِ الْقَضَاءِ مِنْ بَيْتِ اللَّهِ. فَإِنْ كَانَ أَوَّلًا مِنَّا، فَمَا هِيَ نَهَايَةُ الَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ اللَّهِ؟ وَإِنْ كَانَ الْبَارُّ بِالْجَهْدِ يَخْلُصُ، فَالْفَاجِرُ وَالْخَاطِئُ أَيْنَ يَظْهَرَانِ؟» (١ بطرس ٤: ١٧-١٨).

هذه الدينونة الإلهية، للذين هم من «بيت الله»، هي للتنقية، لا للعقاب. ليس إذًا كلُّ ألمٍ ناجمًا عن دينوناتٍ خاصّةٍ من الله على خطايا معيّنة. لكن من ناحيةٍ أخرى، يستخدمُ الله المَرَضَ أحيانًا كي يوقَعَ دينوناتٍ خاصّةً على الذين يرفضونه، ويسلمون أنفسهم إلى الخطيئة.

أمثلة لدينوناتٍ خاصّةٍ على خطايا معيّنة

إليكُم مَثَلين لدينوناتٍ خاصّةٍ على خطايا معيّنة.

في الأصحاح الثاني عشر من سفر أعمال الرسل، عَظَّمَ هيرودس الملك من نفسه، وسمح بأن يُدعى إلهًا. «فَفِي الْحَالِ صَرَبَهُ مَلَاكُ الرَّبِّ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْطِ الْمَجْدَ لِلَّهِ فَصَارَ يَأْكُلُهُ الدُّودُ وَمَاتَ» (أعمال الرسل ١٢: ٢٣). يستطيع الله أن يفعل ذلك مع كلِّ مَنْ يمجّد ذاته، ما يعني أننا ينبغي أن نتعجّب؛ لأنَّ الكثير من حُكَّامنا لا يسقطون أموالًا كلَّ يومٍ بسبب وقاحتهم وغطرستهم أمام الله والناس. فإنَّ طولَ أناةِ الله (ضَبَطَهُ لنفسه) هو رحمةٌ عظيمة.

المثل الآخر هو خطيئة ممارسة الجنس المثلي. ففي رومية ١: ٢٧، قال الرسول بولس: «وَكَذَلِكَ الذُّكُورُ أَيْضًا تَارِكِينَ اسْتِعْمَالَ الْأُنْثَى الطَّبِيعِيِّ اسْتَعْلَوْا بِشَهْوَتِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ فَاعْلَيْنِ الْفَحْشَاءَ ذُكُورًا بِذُكُورٍ وَنَائِلِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ جَزَاءَ صَلَالِهِمُ الْمُحَقِّ». هذا «الجزءُ المُحَقِّ» هو النتيجة المؤلمة لخطيئتهم «في أنفسهم».

وليس هذا «الجزءُ المُحَقِّ» سوى مَثَلٍ واحدٍ على دينونة الله التي نراها في رومية ١: ١٨، «لأنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِيَّاهُمْ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ». ومن ثمَّ، ففي حين ليس كلُّ ألمٍ هو دينونةٌ خاصّةٌ على خطايا معيّنة، فبعض الأمل هو كذلك بالفعل.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

فلنُفحص أنفسنا

وهكذا، فإنَّ فيروس كورونا ليس ببساطةٍ عقوبةً صريحةً على أيِّ إنسان؛ فقد يموت مؤمنٌ مُحبُّ جدًّا، وممتلئٌ من الروح القدس، نالَ غفرانَ خطاياهِ بالمسيح، من جرّاء فيروس كورونا. لكنَّ حريُّ بنا أن يفحصَ كلُّ منَّا قلبه حتّى نميِّزَ ما إذا كان ألمانا دينونةً من الله على سلوكنا أم لا.

إنَّ كُنّا قد أتينا إلى المسيح، فسنتيقنُ أنَّ ألمانا ليس دينونةً عقابيةً من الله. ونستطيع التيقنُ من ذلك؛ لأنَّ يسوع قال: «مَنْ يَسْمَعُ كَلَامِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلَا يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدْ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ» (يوحنا ٥: ٢٤). فلا شيء من الدينونة على الذين هم في المسيح يسوع (رومية ٨: ١). وهكذا فإنَّ هذا تأديبٌ، وليس قضاءً وإهلاكًا: «لأنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ» (عبرانيين ١٢: ٦).

الفصل الثامن: نداءُ صحوةٍ للاستعداد للمجيء الثاني

الإجابة الثالثة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءُ صحوةٍ آتٍ من
الله كي نستعدَّ للمجيء الثاني للمسيح.

مع أنَّ تاريخ الكنيسة حافلٌ بالنبوءات التي لم تتحقَّق عن نهاية العالم، فإنَّ المجيء الثاني ليسوع المسيح يظلُّ حقيقةً. قال الملاك عند انطلاق يسوع إلى السماء: «أَيُّهَا الرَّجَالُ الْجَلِيلِيُّونَ مَا بَالَكُمْ وَاقِفِينَ تَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ؟ إِنَّ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هَكَذَا كَمَا رَأَيْتُمُوهُ مُنْطَلِقًا إِلَى السَّمَاءِ» (أعمال الرسل ١: ١١).

وعند مجيء يسوع ثانية، سوف يدين العالم:

«وَمَتَّى جَاءَ ابْنُ الْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ الْقَدِيسِينَ مَعَهُ فَحِينئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ» (متى ٢٥: ٣١-٣٢).

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

وأولئك غير المستعدين للقاء المسيح، سيصادفهم ذلك اليوم بغتة:

«فَاحْتَرِزُوا لِأَنْفُسِكُمْ لِيَلَّا تَتَّحِلَّ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرِ وَهُمُومٍ
الْحَيَاةِ فَيُصَادِقَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمَ بَغْتَةً» (لوقا ٢١: ٣٤).

أوجاع المخاض

قال يسوع إنه ستكون هناك مؤثرات إلى مجيئه — كالحروب والمجاعات والزلازل (متى ٧: ٢٤) - ودعا هذه العلامات «الأوجاع [أوجاع المخاض]» (متى ٨: ٢٤). يَصُورُ هذا الأَرْضَ وكأنَّها امرأةٌ في مخاض، تحاول أن تُنجِبَ العالمَ الجديد، الذي سيوجده يسوعُ بمجيئه.

استخدم بولس هذه الصورة نفسها في رومية ٨: ٢٢، ونسب أوجاع المخاض إلى جميع أناتِ هذا الدهر — أي جميع مآسي الكوارث والأمراض (من قبيل فيروس كورونا). وقال إننا، نحن المؤمنين، في أمراضنا وبلايانا، جزءٌ من أوجاع مخاض هذا العالم. فإننا نئنُّ منتظرين فداء أجسادنا عند مجيء يسوع، حين سيقيمُ الأموات، ويعطينا أجسادًا جديدةً ممجدةً (فيلبي ٣: ٢١).

«لأنَّ الخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى
حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلَادِ اللَّهِ. فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَنِي وَتَتَمَخَّضُ
مَعًا إِلَى الْآنَ. وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطُ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةٌ
الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَنِي فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبْنِيَّ فِدَاءً
أَجْسَادِنَا» (رومية ٨: ٢١-٢٣).

اسهروا!

هذه هي الفكرة التي أودُّ طرحها: يريدنا يسوع أن نختبرَ أوجاع المخاض (بما في ذلك أوجاع فيروس كورونا) لتكونَ أشبه بتذكيرٍ وتنبيهٍ

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

لنا بأنه آتٍ، وبأننا نحتاج إلى الاستعداد: «لِذَلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَطُنُّونَ يَأْتِي ابْنُ الْإِنْسَانِ» (متى ٢٤:٤٤).

ليس عليك أن تكونَ من المهووسين بتحديد تاريخ محدّد للمجيء الثاني حتّى تُثَبِّتَ أنك تأخذُ كلامَ يسوع على محمّل الجِدِّ. فإنّ ما يقوله يسوع واضحٌ ولا لبس فيه: «انظُرُوا! اسهَرُوا وَصَلُّوا لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ ... اسهَرُوا إِذَا لَأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي رَبُّ الْبَيْتِ ... وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ: اسهَرُوا» (مرقس ١٣:٣٣-٣٧).

الرسالة واضحةٌ تمامًا: اسهروا! اسهروا! اسهروا! وتهدفُ أوجاعُ مخاض العالم الطبيعيّ إلى إبلاغنا بهذه الرسالة. لكن، للأسف، ما أكثر غير الساهرين! فمع جميع نشاطاتهم المحمومة، فهم يَغْطُونَ في نوم عميقٍ من جهة مجيء يسوع المسيح. إنّ الخطرَ شديدٌ ومحق، وفيروس كورونا هو نداءٌ صحوّةٍ رحيمٌ كي نستعدّ.

يعني استعدادنا أن نأتي إلى يسوع المسيح، وننالَ غفران الخطايا، ونسلك في نوره. حينئذٍ، نكون ضمن الذين ليسوا:

«فِي ظُلْمَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ كَالصَّبْرِ. جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ... فَلَا نَنَمُ إِذَا ... بَلْ لِنَسْهَرَ وَنُصْحُ، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لِاقْتِنَاءِ الْخَلَاصِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي مَاتَ لِأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهَرْنَا أَوْ مَنَّا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ» (١ تسالونيكي ٥:٤-١٠).

الفصل التاسع: إعادةُ تناغمنا مع القيمة غير المحدودة للمسيح

الإجابة الرابعة

إنَّ فيروس كورونا هو نداءٌ رعدِيٌّ من الله لنا
جميعًا، حتَّى نتوبَ ونُعيدَ حياتنا إلى تناغمها
مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

ليس فيروس كورونا في حدِّ ذاته دعوةً فريدةً إلى التوبة، بل في الحقيقة
تُعدُّ جميعُ الكوارث الطبيعيَّة — سواء الفيضانات أم المجاعات أم
هجمات الجراد أم أمواج تسونامي أم الأمراض — دعواتِ الله المؤلمة
والرحيمة إلى التوبة.

يَتَّضح لنا ذلك من ردِّ يسوع في لوقا ١٣: ٥-١٣ على سؤالٍ طُرِحَ
عليه بشأن إحدى الكوارث:

«وَكَانَ حَاضِرًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَوْمٌ يُخْرِوْنَهُ عَنِ الْجَلِيلِيِّينَ الَّذِينَ
خَلَطَ بِيَلَاطُسَ دَمَهُمْ بِدَبَائِحِهِمْ. فَقَالَ يَسُوعُ لَهُمْ: أَتَظُنُّونَ
أَنَّ هَؤُلَاءِ الْجَلِيلِيِّينَ كَانُوا خَطَاةً أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ الْجَلِيلِيِّينَ لِأَنَّهُمْ
كَابَدُوا مِثْلَ هَذَا؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ. بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ
كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ. أَوْ أُولَئِكَ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ الَّذِينَ سَقَطَ عَلَيْهِمْ

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الْبُرْجُ فِي سِلْوَامَ وَقَتْلَهُمْ أَتَطُنُّونَ أَنْ هَؤُلَاءِ كَانُوا مُذْنِبِينَ أَكْثَرَ
مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ السَّاكِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ إِنْ
لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ».

قتل بيلاطس أناسًا كانوا يتعبّدون في الهيكل، وكذلك سقط برجٌ في سلوام، أودى بحياة ثمانية عشر شخصًا من المارة. كانت إحدى الكارثتين ناتجةً عن شرِّ الإنسان، في حين كانت الأخرى مجردَ حادثٍ، على ما يبدو.

معنى البليّة لك

أراد الجموع أن يعرفوا من يسوع معنى هذه الأحداث، وما إذا كانت فعلٌ دينونةٌ خاصّةٍ من الله على خطايا معيّنة. لكنّ إجابة يسوع كانت مذهلة؛ فقد استخلص من هاتين الكارثتين معنًى يخصُّ الجميع، وليس فقط الذين ماتوا، قائلاً: «كلّا، لم يكن الذين قُتلوا على يد بيلاطس، أو الذين سُحقوا تحت البرج، خطأً أشرَّ منكم أنتم».

منكم؟ لماذا أثار يسوع هنا مسألة خطاياهم؟ لم يكن الجموع يطلبون رأيه بشأن خطاياهم؛ فقد انتابهم الفضولُ بشأن الآخرين، وأرادوا أن يعرفوا ما كانت تعنيه هذه الكوارث لضحاياها، وليس لهم.

هذا ما جعل إجابة يسوع مذهلةً وعجيبةً؛ فقد قال ما مضمونه إنَّ معنى هذه الكوارث يخصُّ الجميع. وكانت رسالته هي: «توبوا، وإلّا ستهلكون»، مكرّراً إيّاها مرّتين: «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ» (لوقا ١٣: ٣)، «بَلْ إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ» (٥: ١٣).

دعوةٌ رحيمةٌ بينما لا يزال هناك وقتٌ

ماذا فعل يسوع هنا؟ كان يسوع يُعيدُ توجيهَ دهشة الناس؛ فالدهشةُ التي دفَعَتْ هؤلاء إلى طَرْحِ سؤَالهم على يسوع كانت في غير محلِّها. لقد اندهشوا؛ لأنَّ بعضَ الناس قُتِلوا بهذه القسوة، وبعضهم الآخر سُحِقوا بلا هدف أو معنى. لكنَّ يسوعَ قال لهم: «أريدُكم أن تندهشوا لأنَّكم لم تكونوا ضمن هؤلاء الذين قُتِلوا أو سُحِقوا تحت البرج. ففي حقيقة الأمر، إن لم تتوبوا، ستواجهون أنتم أنفسكم دينونةً كهذه يومًا ما».

بالاستناد إلى ذلك، أستطيعُ استنتاجَ أنَّ الله يوجِّهُ إلينا رسالةً رحيمةً وسط مثل هذه الكوارث، وهي: أننا جميعًا خطاة، متَّجهون صوب الهلاك، وليستِ الكوارث سوى دعوةٍ رحيمةٍ من الله لتتوبَ ونُخلِّص الأحياء، وقال ما مفاده: «يجب ألا نتكلَّم عن الأموات، بل عنكم أنتم. هذا أمرٌ أكثرُ إلحاحًا؛ فما حدث لهم يتعلَّق بكم أنتم. لا تكمن أكبر مشكلاتكم في خطيئتهم هم، بل في خطيئكم أنتم». وأعتقد أنَّ هذه هي رسالة الله للعالم وسط وباء فيروس كورونا هذا. فهو يدعو العالم إلى التوبة بينما لا يزال هناك وقتٌ.

ما معنى التوبة؟

فلنكنُّ أكثرَ تحديدًا. ما معنى كلمة توبة؟ تعني هذه الكلمة في العهد الجديد تغييرًا في القلب والذهن، وهو ليس تغييرًا سطحيًّا في الرأي، بل تحوُّلٌ داخليٌّ عميق، يجعلنا ندركُ ونقدِّرُ القيمةَ الحقيقيَّةَ لله ويسوع المسيح. وصف يسوع هذا التغيير كالتالي:

«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ» (متى ٢٢: ٣٧)

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

«مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًَّ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي» (متى ١٠: ٣٧).

بمعنى آخر، أهمُّ تغيير في القلب والذهن تدعو إليه التوبة هو أن نقدّر قيمة الله، ونتعلّق به من كلِّ كياناتنا، وأن نقدّر أيضًا قيمة يسوع، ونتعلّق به فوق أيّة علاقةٍ أخرى.

لَمَ قَد يَهْدِدُنَا يَسُوعُ بِالْهَلَاكِ؟

يعود سبب قول يسوع إننا إن لم نثب فجميعنا كذلك نهلك إلى أننا جميعًا استبدلنا بالله، الذي هو كنزنا، أمورًا أقلَّ قيمةً منه، وأحببناها أكثر منه (رومية ١: ٢٢-٢٣)، وإلى أننا تعاملنا جميعًا مع يسوع كما لو كان أقلَّ جاذبيّةً من المال والتسلية والأصدقاء والعائلة. لسنا نستحقُّ جميعًا الهلاك؛ لأننا خالفنا قائمةً من القواعد، بل لأننا ازدربنا بقيمةٍ غير محدودة — بالقيمة غير المحدودة لله في يسوع المسيح.

الانتباه إلى تفضيلاتنا الانتحاريّة

تعني التوبة إداً أن ننتبه جيّدًا إلى تفضيلنا الانتحاريّ للنحاس على الذهب، وللأساسات الرملية على الصخر المتين، وللعب في قنوات مياه الصرف على قضاء عطلةٍ على شاطئ البحر. كتب سي. أس. لويس هذه الكلمات:

«نحن مخلوقاتٌ فاترة القلب، تُضَيِّع حياتها في السكر والطموح والعلاقات الجنسيّة بينما يُعرّض علينا فرحٌ غير محدود. فإننا نشبه طفلًا جاهلاً يرغب في الاستمرار في صنّع فطائرٍ من الطين في حيٍّ فقير؛ لأنّه لا يستطيع تخيّل معنى عرضٍ مقدّم له بقضاء عطلة على شاطئ البحر. فنحن نرضى بأقلّ القليل بسهولةٍ زائدة عن الحد».^٨

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

«هذا الفرع غير المحدود» الذي تحدّث لويس بشأنه هو أن نختبر رؤية قيمة المسيح وجماله وعظمته، والاستمتاع بمذاقها، والتحدّث عنها.

دَفَعْنَا إِلَى الْإِتْكَالِ عَلَى الْمَسِيحِ

ما يفعله الله بواسطة فيروس كورونا هو أنه يُرينا — بصورة واضحة ومؤلمة — أن لا شيء في هذا العالم يمنحنا الأمان والشبع اللذين نجهدهما في عظمة المسيح وقيّمته غير المحدودتين. فقد انتزع هذا الوباء العالمي منّا حريّة الحركة والعمل وعلاقاتنا بالآخرين وجهًا لوجه، كما انتزع أماننا وراحتنا، وربما ينتزع في النهاية حياتنا.

ويعرضنا الله لمثل هذه الخسائر كي يدفعنا إلى الاتكال على المسيح. بتعبير آخر، يجعل الله من البليّة فرصة ليقدم المسيح إلى العالم؛ لأنّ عظمة المسيح الفائقة والمشبعة إلى التمام تتجلّى بمزيد من البريق حين يحفظ المسيح فرحنا في خضمّ الألم.

عَطِيَّةُ الْيَأْسِ

فكّر معي، مثلاً، في السبب الذي لأجله أوصل الله بولس إلى حدّ اليأس من الحياة:

«فَإِنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ تَجْهَلُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ مِنْ جِهَةِ ضِيقَتِنَا الَّتِي أَصَابَتْنَا فِي أَسِيًّا، أَنَّنَا تَثْقَلْنَا جِدًّا فَوْقَ الطَّاقَةِ، حَتَّى أَيْسَنَا مِنَ الْحَيَاةِ أَيْضًا. لَكِنْ كَانَ لَنَا فِي أَنْفُسِنَا حُكْمُ الْمَوْتِ، لِكَيْ لَا نَكُونَ مُتَكَلِّمِينَ عَلَى أَنْفُسِنَا بَلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي يُقِيمُ الْأَمْوَاتِ»

(٢ كورنثوس ١: ٨-٩)

لم يكن بولس يرى أن اختبار اليأس من الحياة هذا شيطانيّ أو عشوائيّ، بل رأى أنّ له غرضًا وقصدًا، وأنّ هذا القصد هو قصد الله؛ فإنّ هذه

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الخبرة التي هددت حياته كانت «لِيَّ لَا تَكُونُ مُتَكَلِّبِينَ عَلَيَّ أَنْفُسَنَا بَلْ عَلَيَّ اللَّهُ الَّذِي يُقِيمُ الْأَمْوَاتَ» (٢كورنثوس ١:٩).

هذه هي رسالة فيروس كورونا: توقّفوا عن الاتّكال على أنفسكم والتفتوا إلى الله. لا يمكنكم حتّى أن تمنعوا الموت، لكنّ الله يستطيع أن يُقيم الأموات. وقطعًا، لا يعني «الاتّكال على الله» أن يصير المؤمنون خاملين وسليبيّن. لم يكن المؤمنون يومًا خاملين أو سلبيين، بل يعني أن يصير أساس كل ما فعله وهودجّه وهدفّه هو الله. كما قال بولس: «بَلْ أَنَا تَعَبْتُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ جَمِيعِهِمْ. وَلَكِنْ لَا أَنَا بَلْ نِعْمَةُ اللَّهِ الَّتِي مَعِيَ» (١كورنثوس ١٥:١٠).

يدعونا فيروس كورونا لأنّ نجعل الله الحقيقة السائدة والأهمّ في حياتنا. فإنّ حياتنا تعتمد عليه أكثر ممّا تعتمد حتّى على أنفسنا. وفي بعض الأحيان، يحبس الله أنفسنا حتّى يجعلنا نرمي على صدره.

معنى الأشواك

فلنتأمّل معًا أيضًا في قصد الله من شوكة بولس المؤلمة التي أصابته في جسده:

«وَلَيْلًا أَرْتَفَعَ بِفَرْطِ الْإِعْلَانَاتِ، أُعْطِيتُ شَوْكَةً فِي الْجَسَدِ، مَلَكَ الشَّيْطَانِ، لِيَلْطَمَنِي لَيْلًا أَرْتَفَعَ. مِنْ جِهَةِ هَذَا تَضَرَّعْتُ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَنْ يُفَارِقَنِي. فَقَالَ لِي: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لِأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تَكْمَلُ». فَبِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعْفَاتِي، لِيَّ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٢:٧-٩).

لقد بورك بولس بإعلاناتٍ عظيمة. وبينما رأى الله في ذلك خطورة الكبرياء، رأى الشيطان خطورة الحقّ والفرح. لكنّ تحكّم الله في مخطّطات الشيطان، بحيث إنّ ما ظنّ الشيطان أنّه سيفسد شهادة بولس ويخرّبها قد أثمر في الواقع اتّضاعًا وسرورًا لدى بولس. أصيب

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

بولس بشوكةٍ في الجسد — «مَلَاكَ [أو رسول] الشَّيْطَانِ» — لَكُنْهَا كَانَتْ فِي الْوَاقِعِ رَسُولًا مِنَ اللَّهِ. وَرُغِمَ أَنَّنَا لَا نَعْرِفُ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ طَبِيعَةُ هَذِهِ الشُّوكَةِ، فَإِنَّا نَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّ الْأَشْوَاكَ مُؤَلِّمَةٌ، وَأَنَّ بُولَسَ تَضَرَّعَ إِلَى الرَّبِّ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ كِي تَفَارِقَهُ تِلْكَ الشُّوكَةُ.

لَكِنَّ الرَّبَّ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ؛ إِذْ كَانَ لَدَيْهِ قَصْدٌ مِنْ هَذَا الْأَمِّ: «لَأَنَّ قُوَّتِي فِي الضُّعْفِ تَكْمَلُ» (٢ كورنثوس ١٢: ٩). كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَشَعَّ الْمَسِيحَ، بِوَسْطَةِ إِيمَانِ بُولَسَ وَفِرْحِهِ غَيْرِ الْمْتَزِعِزَعِينَ، بِصِفَتِهِ أَفْضَلَ وَأَعْلَى قِيَمَةً مِنَ الصِّحَّةِ ذَاتِهَا. وَمَاذَا كَانَ رَدُّ فَعَلَ بُولَسَ تُجَاهَ هَذَا الْقَصْدِ؟ «بِكُلِّ سُرُورٍ أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعْفَاتِي» (٢ كورنثوس ١٢: ٩).

بِكُلِّ سُرُورٍ! كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا؟ لِمَاذَا كَانَ بُولَسَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لَأَنْ يَقْبَلَ شُوكَتَهُ بِسُرُورٍ؟ لَأَنَّ هَدَفَهُ الْأَكْبَرَ فِي الْحَيَاةِ كَانَ أَنْ يَتَعَطَّمَ الْمَسِيحَ فِي جَسَدِهِ، سَوَاءً كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ بِمَوْتٍ (فِيلِبِّي ١: ٢٠). كَانَ هَذَا هُوَ مَصْدَرُ فِرْحِ بُولَسَ وَسُرُورِهِ — أَنْ يَرَى جَمَالَ الْمَسِيحِ، وَيَقْدَّرَ قِيَمَتَهُ بِصِفَتِهِ كَنْزَهُ الْفَائِقِ، وَأَنْ يُظْهِرَ لِلْعَالَمِ أَنَّ يَسُوعَ أَفْضَلُ مِنَ الصِّحَّةِ وَالْحَيَاةِ. هُنَاكَ قَصِيدَةٌ رَائِعَةٌ بِعَنْوَانِ «الشُّوكَةُ» (The Thorn)، كَتَبَتْهَا مَارْتَا سَنِيلْ نِيكُولْسُون (Martha Snell Nicholson)، وَالتِي عَاشَتْ مَا بَيْنَ عَامَيْ ١٨٩٨ وَ ١٩٥٣ م، وَتُخْتَمُّ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ:

«تَعَلَّمْتُ أَنَّهُ لَا يُعْطِي شُوكَةً بَتَاتًا دُونَ نِعْمَةٍ إِضَافِيَّةٍ؛

فَهُوَ يُعْطِي الشُّوكَةَ كِي يَزِيحَ الْحِجَابَ الَّذِي يُخْفِي وَجْهَهُ».

فِي الْخَسَارَةِ رِبْحٌ

قَبْلِ بُولَسَ أَنْ يَخْسَرَ؛ لِأَنَّهُ يَرِبِحُ الْمَسِيحَ أَكْثَرَ فَاكْثَرَ بِهَذِهِ الْخَسَارَةِ:

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

«بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيُّضًا خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ
الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَأَنَا
أَحْسِبُهَا نُقَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ» (فيلبي ٣:٨).

هذا هو إذاً معنى التوبة: أن تختبرَ تغييراً في القلب والذهن، يقدرُ قيمةَ الله في المسيح، ويراه أفضلَ من الحياة ذاتها. «لأنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنْ الْحَيَاةِ. شَفَقَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ» (مزمو ٦٣:٣). كان هذا هو إيمان بولس، وكان هذا الإيمان حقيقياً في الحياة وفي الموت؛ في الحياة؛ لأنَّ المسيح هو حلاوةُ آيَةٍ لَذَّة، وأفضل من آيَةٍ لَذَّة، وفي الموت؛ لأنَّ «أَمَامَكَ [أمام الله] شَبَّحُ سُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمو ١١٦:١١).

إنَّ وِباءَ كورونا هو اختبار خسارة — من أبسط خسارة لوسائل الراحة، وحتى أكبر خسارة للحياة نفسها. وإذا استطعنا أن نعرفَ سرَّ فرح بولس، فسوف نجتاز هذه الخسارة حاسبين إياها ربحاً. هذا ما يقوله الله للعالم: توبوا، وأعيدوا تناغمكم مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

الفصل العاشر: إيجاد أعمال حَسَنَةٍ وسطَ الخطر

الإجابة الخامسة

إنَّ فيروس كورونا هو دعوةُ الله الموجهة إلى شعبه كي يتغلَّبوا على رثاء النفس والخوف، ويمارسوا أعمالَ المحبَّة الحَسَنَة التي تمجِّد الله بفرح متَّسم بالشجاعة.

عَلَّمَ يسوع أتباعه قائلاً: «فَلْيُضَيُّ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (متَّى ٥: ١٦). لكنَّ عادةً ما يفوتنا أن نلاحظَ أنَّ ملوحةَ أتباع المسيح للأرض، وبريقهم كنورٍ للعالم يزدادان حين يمارسون هذه الأعمال الحَسَنَة حتَّى وسط الألم والمعاناة.

اللمعان وسط ظلمة الخطر

كان يسوع قد قال لتلاميذه قبل تلك الآية بقليل: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرُوكُمْ وَطَرَدُوكُمْ وَقَالُوا عَلَيْكُمْ كُلَّ كَلِمَةٍ شَرِيْرَةٍ مِنْ أَجْلِي كَاذِبِينَ.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

أَفْرُحُوا وَتَهَلَّلُوا لِأَنَّ أَجْرَكُمْ عَظِيمٌ فِي السَّمَاوَاتِ» (متى ٥: ١١-١٢). ثم تابع، دون أي فاصل، قائلاً: «أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ» (متى ٥: ١٣-١٦).

ليست إذاً الأعمال الحسنة فحسب هي التي تُضفي على المسيحية نكهتها القويّة وبريقها، بل أيضاً الأعمال الحسنة رغم الخطر. كثيرون من غير المسيحيين يمارسون أعمالاً حسنة، لكن نادراً ما يمجّد الناس الله بسببها.

صحيحٌ أنّ الخطرَ في الأصحاح الخامس من إنجيل متى كان الاضطهاد، وليس المرض، لكنّ المبدأً واحدٌ في كلتا الحالتين. تشير أعمال المحبّة في خضمّ الخطر، سواء كان المرض أم الاضطهاد، بأشدّ وضوحٍ إلى حقيقة أنّ هذه الأعمال مؤيِّدةٌ برجاءٍ في الله. مثلاً، قال يسوع:

«بَلْ إِذَا صَنَعْتَ ضِيَاقَةً فَادْعُ الْمَسَاكِينَ: الْجُدْعَ الْعُرْجَ الْعُمِّيَّ
فَيَكُونُ لَكَ الطُّوبَى إِذْ لَيْسَ لَهُمْ حَتَّى يَكْفُوكَ لِأَنَّكَ تَكْفَى فِي
قِيَامَةِ الْأَبْرَارِ» (لوقا ١٤: ١٣-١٤).

فإنّ الرجاء في الله من جهةٍ ما بعد الموت («لأنّك تكافى في قيامة الأبرار») هو الذي يدعم ويؤيّد بالقوّة الأعمال الحسنة، التي لا تنتظر أيّة مكافأةٍ في هذا العالم. وينطبق الأمر ذاته على الأعمال الحسنة التي تضعنا في خطر، ولا سيّما خطر الموت.

الكيفية التي طبّق بها بطرس تعليم يسوع

استفاد الرسول بطرس، أكثر من أيّ كاتبٍ آخرٍ في العهد الجديد، في حديثه بشأن تعليم يسوع الواضح عن الأعمال الحسنة:

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

«وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الْأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ مِمَّجِدُونَ اللَّهَ فِي يَوْمِ الْاِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي يُلَاحِظُونَهَا» (١بطرس ٢:١٢).

كذلك، طرح بطرس الرسول فكرة الأعمال الحسنة التي تُمارَس وسط الخطر قائلاً: «فإِذَا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللَّهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقِ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ» (١بطرس ٤:١٩). بمعنى آخر، لا تدع احتمالية الألم أو حقيقة تحول دون ممارستك الأعمال الحسنة.

مات المسيح كي يوجِدَ أعمالاً حسنةً وسط الخطر

ربط بطرس هذا النوع الجديد من الحياة بموت يسوع عن خطايانا: «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسَهُ [المسيح] خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ مَوْتَ عَنِ الْخَطَايَا فَتَحْيَا لِلْبِرِّ» (١بطرس ٢:٢٤). فبسبب المسيح، يُمِيتُ الْمُؤْمِنُونَ الْخَطِيئَةَ، وَيُنْكَبُونَ عَلَى مِمَارَسَةِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الصَّالِحَةِ.

وقد أقام بولس الرسول هذه الصلة نفسها ما بين موت يسوع وغيره المؤمنين في الأعمال الحسنة، حين قال: «الَّذِي بَدَّلَ نَفْسَهُ [المسيح] لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ» (تيطس ٢:١٤).

كذلك، أوضح بولس أن هذه الأعمال الحسنة موجهة إلى المؤمنين وغير المؤمنين. «فإِذَا حَسَبْنَا لَنَا فُرْصَةً فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلَا سِيَّمًا لِأَهْلِ الْإِيمَانِ» (غلاطية ٦:١٠)، «انظُرُوا أَنْ لَا يُجَازِي أَحَدًا أَحَدًا عَنْ شَرِّ بَشَرٍ، بَلْ كُلِّ حِينٍ اتَّبِعُوا الْخَيْرَ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ وَلِلْجَمِيعِ» (١تسالونيكي ٥:١٥).

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

يتعظّم المسيح في اللطف المجازف

إنَّ الهدفَ الأساسيَّ الذي عيَّنه اللهُ لشعبه هو أن يمَجِّدوا عَظَمَتَهُ، ويعظّموا قيمةَ ابنه، يسوع المسيح، «فَإِذَا كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ أَوْ تَشْرَبُونَ أَوْ تَفْعَلُونَ شَيْئًا فَافْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ لِمَجْدِ اللَّهِ» (١كورنثوس ١٠:٣١)، «حَسَبَ انْتِظَارِي وَرَجَائِي ... يَتَعَظَّمُ الْمَسِيحُ فِي جَسَدِي، سَوَاءً كَانَ بِحَيَاةٍ أَمْ مَيُوتُ» (فيلبّي ١:٢٠). فالهدفُ هو أن يتمجّد اللهُ في كلِّ شيء، وأن يتعظّمَ المسيح في الحياة والموت أيضًا. هذا هو الهدفُ الأسمى المعيّن من الله للحياة البشريّة.

وهكذا، فإنَّ أحدَ مقاصدِ اللهُ من فيروس كورونا هو أن يعملَ شعبُه على إِماتةِ رثاءِ النفس والخوف، ويَهَبُوا أنفسهم للأعمالِ الحسنة وسط الخطر. فالمؤمنون يميلون أكثرَ إلى تسديد الحاجات، لا نحو الراحة؛ وإلى المحبّة، لا نحو الشعور بالأمان. هكذا هو مخلّصنا، وهذا ما مات لأجله.

مثالٌ من الكنيسة الأولى

تحدّث رودني ستارك (Rodney Stark)، في كتابه بعنوان: «انتصارُ المسيحيّة» (*The Triumph of Christianity*) بأنَّ المبدأ الأهمَّ الذي سادَ في القرون الأولى للكنيسة المسيحية هو «أنَّ المحبّة المسيحيّة وأعمال الخير ينبغي أن تتجاوزَ حدودَ العائلة، بل أيضًا حدودَ دائرة المؤمنين، لتصلَ إلى كلِّ المحتاجين»^١.

صُربتِ الإمبراطوريّة الرومانيّة بوباءين في العامَين ١٦٥ و٢٥١م. وخارج الكنيسة المسيحية، لم يَكُنْ هناك أيُّ أساسٍ ثقافيٍّ أو دينيٍّ يدعو إلى الرحمة والبذل. «لم يكن هناك إيمانٌ بأنَّ الآلهة يكثرثون بشؤون البشر»^١، «وكانت الرحمة تُعدُّ خللاً في الشخصية، والشفقة عاطفةً مرّضيّةً؛ لأنَّ الرحمة تتعلّق بتقديم مساعدة أو نجدةٍ غير مستحقّة، وهذا نقيض العدل»^{١١}.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

وهكذا بينما كان ثلث الإمبراطورية يهلك جرّاء المرض، هرب الأطباء إلى أراضيهم في الريف، وكان الذين تظهر عليهم الأعراض يُطردون من البيوت، وهجر الكهنة المعابد. لكن قال ستارك: «ادّعى المسيحيون أنّ لديهم كافة الأجوبة، والأهمّ من ذلك، أنّهم تحرّكوا، وتصرفوا على نحوٍ سليم». ^{١٢}

تضمّنت الأجوبة غفران الخطايا بواسطة المسيح، والرجاء في الحياة الأبدية بعد الموت. كانت هذه رسالةً ثمينةً في وقتٍ من العجز الطبّي واليأس التام.

أمّا من جهة الأفعال، فقد اعتنّت أعدادٌ كبيرةٌ من المسيحيين بالمرضى والمُحتَضرين. وقربُ نهاية الوباء الثاني، كتب ديونيسيوس، أسقف الإسكندرية، رسالةً يشيّد فيها بأعضاء كنيسته، قائلاً:

«أظهر معظم إخوتنا محبةً وإخلاصًا لا حدود لهما، حيث لم ييخلوا بأنفسهم، بل آثروا غيرهم. وإذا لم يُلقوا بالألّا للخطر، تولّوا مسؤولية المرضي، ملبّين كلّ حاجاتهم، ومعتنين بهم في المسيح، بل مفارقين معهم أيضًا هذه الحياة في سعادة هادئة». ^{١٣}

إسكات جهل الأباطرة

بمرور الزمن، ترك هذا الاعتناء — المضادّ للثقافة السائدة والمؤيّد من المسيح — بالمرضى والفقراء أثرًا هائلًا في ربح الكثيرين، وانتشالهم من الوثنية المحيطة بهم. ثمّ بعد مرور قرنين، حين أراد الإمبراطور الرومانيّ جوليان (٣٣٢-٣٦٣م) أن يُعيد إحياء الديانة الرومانية القديمة مرّةً أخرى، حاسبًا المسيحية مصدر تهديد متزايد، كتب في إحباط إلى رئيس الكهنة الرومانيّ في مقاطعة غلاطية رسالة جاء فيها:

«لقد تقدّم الإلحاد [أي الإيمان المسيحي] لا سيّما بواسطة خدمة المحبّة التي يقدّمها هؤلاء للغرباء، واهتمامهم بدفن الموتى. إنّه لعارٌ وفضيحةٌ أنّ لا أحد من هؤلاء اليهود يستعطي، وأنّ هؤلاء الجليليين الذين لا إله لهم [أي المسيحيين] يعتنون ليس فقط بفقرائهم، بل أيضًا بفقرائنا نحن، في حين يطلب الذين ينتمون إلينا المساعدة منّا دون جدوى».¹⁴

تخفيف الألم المرسل من الله

لا يوجد تناقضٌ بين حسابنا فيروس كورونا عملاً من الله، ودعوتنا للمؤمنين إلى المجازفة للتخفيف من الألم الذي يتسبّب فيه. فمَنْذ أن أخضع الله العالم للخطيّة والشقاء عند السقوط، عيّن وقضى أن يسعى شعبه إلى إنقاذ الهالكين، حتّى وإن كان هو نفسه من عيّن دينونة الهلاك. فقد جاء الله نفسه إلى العالم في يسوع المسيح حتى ينجّي البشر من دينونته العادلة (رومية 9:5). هذا هو معنى صليب المسيح. وبهذا، تشمل أعمال شعب الله الحسنّة الصلاة من أجل شفاء المرضى، وحتّى يوقِفَ الله يده، ويحوّلَ عنّا الوباء، ويدبّرَ العلاج. فإنّنا نصليّ لله في أثناء تفشّي فيروس كورونا، ونعمل على تخفيف الآلام التي يُسبّبها، تمامًا كما صليّ إبراهيم لينكولن من أجل انتهاء الحرب الأهليّة، وعمل على إنهاؤها، وإن كان يحسبها دينونةً من الله:

«نأمل بشدّة - ونصليّ بحرارة - أن تمضيَ عنّا سريعًا كارثة هذه الحرب العاتية. لكنّ، إن شاء الله لها أن تستمرّ، حتّى تُغرقَ جميع الثروات التي كوّمها العبيد على مدى مئتين وخمسين عامًا من الكدّ والعمل دون أجر، وحتّى يسدّد ثمنُ كلّ قطرة دماء أرافتها السياط بقطرة دماءٍ أخرى تراقُ

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

بالسيف، فَإِنَّا سَنَنْظِلُّ نَرْدُّد، كما قيل منذ ثلاثة آلاف سنة:
'أَحْكَامُ الرَّبِّ حَقٌّ عَادِلَةٌ كُلُّهَا'.

لدى الله عملٌ يقوم به، وقد رُ كَبِيرٌ منه محتجبٌ وسرِّي. كذلك،
لدينا نحن أيضًا عملٌ نقومُ به. وإن كُنَّا نثقُ بالله، ونطيع كلمته،
فسوف يجعل سيادته، وكذلك خدمتنا نحن، تَتَمَّان مقاصده
الحكيمة والصالحة.

الفصل الحادي عشر: خلقة جذورنا كي نذهب إلى الأمم

الإجابة السادسة

بواسطة فيروس كورونا، يُخَلِّقُ اللهُ جُذُورَ
المؤمنين المستقرِّين في جميع أنحاء العالم،
كي يطلقهم لفعل شيءٍ جديدٍ وجذريٍّ، وكي
يرسلهم بإنجيل المسيح إلى شعوبِ العالم
التي لم يصل إليها الإنجيل بعدُ.

رَمَّا يبدو رَبُّطُ فيروس كورونا بالإرساليَّاتِ فكرةً غريبةً؛ إذ نرى، على
المدى القصير، فيروس كورونا يحظرُ السفرَ والهجرةَ وتقدُّمَ العملِ
المرسليِّ. لكنني لا أفكِّرُ على المدى القصير؛ فلطالما استخدمَ اللهُ الأُممَ
والاضطراباتِ التي وقعت في التاريخ لنقلِ كنيسته إلى أماكنَ كان يجب
أن تذهبَ إليها. وأفترضُ أنَّه سيفعل ذلك مرَّةً أخرى ضمن التأثيرِ
طَوِيلِ المدى لفيروس كورونا.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

الاضطهاد بوصفه استراتيجية إرساليّة

انظر، مثلاً، كيف نقل الله شعبه خارج أورشليم في إرساليّة إلى اليهوديّة والسامرة. فقد أوصى يسوع تلاميذه بأن يكرزوا بالإنجيل إلى العالم أجمع، بما في ذلك «أورُشليم وفي كُلِّ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ وَإِلَى أَقْصَى الْأَرْضِ» (أعمال الرسل ١: ٨). لكن بحلول زمن أحداث الأصحاح الثامن من سفر أعمال الرسل، بدا كما لو كانت الإرساليّة قد توقّفت عند أورشليم. وماذا تطلّب تحريك الكنيسة لإتمام إرساليّتها؟ تطلّب هذا موت استفانوس، والاضطهاد الذي ترثب عليه؛ فبعد استشهاد استفانوس مباشرةً (أعمال الرسل ٧: ٦٠)، اندلعت نيرانُ الاضطهاد:

«وَحَدَثَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ اضْطِهَادٌ عَظِيمٌ عَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي أُورُشَلِيمَ فَتَشَتَّتَ الْجَمِيعُ فِي كُورِ الْيَهُودِيَّةِ وَالسَّامِرَةِ مَا عَدَا الرُّسُلَ ... فَالَّذِينَ تَشَتَّتُوا جَالُوا مُبَشِّرِينَ بِالْكَلِمَةِ» (أعمال الرسل ٨: ١-٤).

هكذا حرّك الله شعبه بواسطة الاستشهاد والاضطهاد. وأخيراً، سمعت «اليهوديّة والسامرة» الإنجيل. فإنّ طرق الله ليست طرُقنا، لكنّ نجاح إرساليّته أكيدٌ وحتميّ. هذا هو ما قاله يسوع، ولا يمكن أن تسقط كلمته: «عَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أُبْنِي كَنِيسَتِي وَأَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (متّى ١٦: ١٨)، «وَيُكْرَزُ بِبَشَارَةِ الْمَلَكُوتِ هَذِهِ فِي كُلِّ الْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ الْأُمَمِ» (متّى ٢٤: ١٤). لم يقلّ المسيح: «ربّما يُكرز»، بل قال: «يُكرز».

الانتكاسات بوصفها استراتيجية للتقدّم

ربّما نظنُّ أنّ وباء فيروس كورونا هو انتكاسةٌ للإرساليّات في العالم. لكنني أشكُّ في ذلك؛ فكتيراً ما تتضمن طرق الله انتكاساتٍ ظاهريّةً ينتج عنها تقدّم كبير.

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

في ٩ كانون الثاني/يناير من عام ١٩٨٥م، قُبِضَ على القسِّ هريستو كوليتشيف (Hristo Kulichev)، أحد رعاة الكنائس في بلغاريا، وأُلقي في السجن. كانت جريمته تتمثل في تقديمه عظةً في كنيسة رومانية رغم أن الحكومة عيّنت رجلاً آخرَ راعيًّا للكنيسة، لم تنتخبه الكنيسة. كانت محاكمته مهزلةً وعبثًا، وحُكِمَ عليه بالسجن مدّة ثمانية أشهر. وفي أثناء الوقت الذي أمضاه هذا القسُّ في السجن، كرَّرَ بالمسيح بكلِّ وسيلةٍ ممكنة.

وبعد خروجه من السجن، كتبَ هذه الكلمات: «طرح كلُّ من السجناء وحرّاس السجن الكثيرَ من الأسئلة، وتبيَّنَ لي أنَّ الخدمةَ هناك كانت مثمرةً أكثرَ من الخدمةِ داخل الكنيسة؛ فقد استطعتُ أن أخدمَ الله في السجن بصورةٍ أفضلَ بكثيرٍ ممَّا لو كنتُ حرًّا».^{١٥}

كثيرًا ما تكون هذه هي طريقة الله. فإنَّ خطورة فيروس كورونا، والنطاقَ العالميَّ لانتشاره، هو فرصةٌ أهمُّ وأعظمُ من أن يهدرها الله. وهي ستخدمُ قصدهَ الشاملَ والذي لا يُهزَمُ من جهة الكرازة إلى العالم. لم يسفكِ المسيح دمَه باطلاً. ونقرأ في سفر الرؤيا ٩:٥ أنه بذلك الدم اشترى الله شعبًا «مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ». وهو حتمًا سينال مكافأةَ آلامه. وحتى الأوبئة نفسها ستعملُ على إتمام الإرسالية العظمى.

صلاة ختامية

أيها الأب،

في أفضل لحظات حياتنا في جثسيماني، لم يغلبنا النوم، بنعمتك، بل بقينا ساهرين نصغي إلى صلاة ابنك. فقد كان يعرف، في أعماقه، أنه لا بُدَّ أن يتألم، لكنَّه صرَّخَ في ناسوته الكامل: «إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسُ».

كذلك نحن أيضًا، نشعر في أعماقنا بأنَّ هذا الوباء معيَّن بحكمتك للخير، ولأجل إتمام مقاصد ضروريَّة. نحن أيضًا لا بُدَّ أن نتألم، لكن في حين كان ابنك بريئًا، لسنا نحن كذلك.

لكننا معه، في بشريتنا الأقلَّ من أن تكونَ كاملة، نصرخ أيضًا: «إِنْ أَمَكْنَ فَلْتَعْبُرْ عَنَّا هَذِهِ الْكَأْسُ». يا ربنا، تمِّم سريعًا ذلك العمل المؤلم والعاقل والرحيم الذي عزمت أن تفعله. لا تتوان في الدينونة، ولا تؤخِّر رحمتك. اذكر البائسين، يا رب، حسب رحمتك. ولا تنس صراخ المساكين. أعط شفاءً، ودبِّر علاجًا. نصلي أن تخلصنا — نحن خليفتك المسكينَة والعاجلة — من هذه الأحزان.

نصلي، يا ربُّ أيضًا ألا تضيِّع بؤسنا وحرزنا هباءً، بل نُقِّ شعبك من انشغالهم المتخاذل بالفكر المادِّيِّ العقيم، وباللهو والتسلية بعيدًا عن المسيح. لا تسمَحْ لأفواهنا بأن تنجذب إلى طُعم الشيطان وتلتقطه. واخْلَعْ عَنَّا جذور الكبرياء والكراهية والظلم وبقاياها. أعطنا أن نشوِّر على استهانتنا واستخفافنا بمجدك، وافتحْ عيونَ قلوبنا كي ترى جمالًا

الجزء الثاني: ماذا يفعل الله بواسطة فيروس كورونا؟

المسيح وتذوقه. أَمِلْ قلوبَنَا إلى كلمتك، وإلى ابنك، وإلى طريقك. املأنا
بشجاعةٍ رحيمة. واصنعْ لنفسك اسمًا بواسطة خدمة شعبك.
مُدَّ يَدَكَ لَتُجَرِّيَ صحوَةً عظيمةً من أجل هذا العالم الهالك.
لا تدعِ الكلماتِ الرهيبةَ لسفر الرؤيا تُنطِقَ على هذا الجيل: «وَلَمْ
يَتُوبُوا عَنْ أَعْمَالِهِمْ». فكما ضربتَ الأجساد، اضرب الآن الأرواح الغافية.
لا تسمَحْ بأنْ تظلَّ نائمةً في ظلام الكبرياء وعدم الإيمان. بل برحمتك
العظيمة، قُلْ لهذه العظام: «عيشي!» وأعدِّ قلوبَ الملايين وحياتهم إلى
تناغمها مع القيمة غير المحدودة للمسيح.

بِاسْمِ يسوع المسيح، آمين.

الملاحظات

- ١ يُعرَف هذا الوباء باسم «الإنفلونزا الإسبانية»، وقد بدأ ما بين الجنود المقاتلين في الحرب العالمية الأولى. وكانت الصحافة الإسبانية هي أول من كشف عن الوباء، فسُمِّي بالإنفلونزا الإسبانية رُغم أنه لم يبدأ في إسبانيا (الناشر).
- 2 “1918 Pandemic (H1N1 Virus),” updated March 20, 2019, Centers for Disease Control and Prevention, <https://www.cdc.gov/flu/pandemic-resources/1918-pandemic-h1n1.html>.
- ٣ ويُسمَّى أيضًا العلاج المثلي، وهو نظام علاجيّ وشكلٌ من أشكال الطبّ البديل يستند إلى المبادئ التي صاغها صامويل هانيمان عام ١٧٩٦م. ويعتمد هذا العلاج على قانون أبقراط في الطبّ، والذي يقول: المثل يعالج المثل. تنصُّ نظرية المعالجة المثلية على أنّ المريض يمكن أن يُشفى باستخدام كمّيات ضئيلةٍ من المواد التي تسبّب في جسم الشخص السليم أعراضًا مشابهةً لأعراض مرض الشخص المصاب (الناشر).
- ٤ قد يبدو هذا التعبير غريبًا، لكنّ المؤلّف سيوضح المقصودَ به في الفصل الرابع (الناشر).
- 5 Henry Martyn, *Journals and Letters of Henry Martyn* (New York: Protestant Episcopal Society, 1861), 460
- 6 Martyn, *Journals and Letters*, 210.

- 7 John Lennon, “Imagine,” produced by John Lennon, Yoko Ono, and Phil Spector, Abbey Road, London, 1971.
- 8 C. S. Lewis, “The Weight of Glory,” in *The Weight of Glory and Other Addresses* (1949; repr., New York: Harper, 2009), 26.
- 9 Rodney Stark, *The Triumph of Christianity: How the Jesus Movement Became the World’s Largest Religion* (New York: Harper, 2011), 113.
- 10 Stark, *Triumph of Christianity*, 115.
- 11 Stark, *Triumph of Christianity*, 112.
- 12 Stark, *Triumph of Christianity* 116.
- 13 Stark, *Triumph of Christianity* 117.
- 14 Stephen Neill, *A History of Christian Missions*, 2nd ed. (New York: Penguin, 1986), 37–38.
- 15 Herbert Schlossberg, *Called to Suffer, Called to Triumph* (Portland, OR: Multnomah, 1990), 230.